المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثالث والثلاثين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٢ جماد اول سنة ١٣٢٦

قاسم بك امين

من الرجال مَن لهم قيمة ذاتية تظهر بكتاباتهم وتعاليمهم وقلما تتغيَّر بتغيُّر الازمنة والامكنة سواء عرف معاصروهم قدرهم او جهلوهُ وسواء كانت بلادهم محتاجة اليهم او مستغنية عنهم مثل سقراط وافلاطون وده كارت وباستور وسبنسر . ومنهم مَن قيمتهم قائمة بحاجة بلادهم اليهم او بالنفع الذي ينالها منهم وتظهر بما يأتونهُ من الافعال مثل بونابرت ووشنطون ومحمد علي . ومنهم مَن تكون لهم قيمة ذاتية ولكن لا يمدُّ لهم الاجل حتى تظهر مزاياهم او لا يوفقون الى نشر آرائهم وافكارهم او تكون بلادهم في خمول فلا تعرف قدرهم او لا تستفيد منهم ككثيرين من اذكياء العقول الذين قضوا في سن الشباب او وُجدوا في بلاد اهاليها سكارى بخمرة الجهل او نيام في ظلمات الإهمال . ومنهم مَن قواهم عادية ولهم امتياز قليل على اترابهم ولكنهم يظهرون زمن شدَّة التنبه فيكبر شأنهم وينمو قدرهم كأنهم بزور القيت في ارض خصيبة . ومنهم من يُتاجَر باكرامهم ويُبالَغ في اعلاء قدرهم لغرض سياسي او ديني او لمصلحة اخرى فيعطون فوق ما يستحقون

وكيفما كانت الحال فقدْر الرجال الحقيقي لا يعلم الأَبعد مرور الازمان وتمحيص الاقوال والافعال بنار الامتحان . وقد تبقى الحقيقة طامسة طيَّ الخفاء . فكم من عالم حكيم تضمُّ هذه الغبراء وقد نسي اسمهُ ولا يعلم شيء من امرهِ وكم من مزار بني على رفات احمق متنطع والناس يزورونهُ صباح مساء ويتبرَّكون بهِ . وكم في ميزان هذا الدهر من خفيف مرتفع وثقيل منخفض ولعلَّ الحقائق المجهولة اكثر من المعلومة

هذا ولا شيء مثل حرية القلم وحرية اللسان لاظهار اقدار الرجال ولاسيما اذا نشأت الاحزاب واخذ كل حزب يغالي بما عندهُ في هذه الحال قلما يضيع رجل لهُ قدْر ومريدون .

وقد يعطي الرجال حينئذٍ اكثر من حقهم وهو الغالب . ولكن اذا كان للمرء اقوال مكتوبة منشورة فهي ميزان فضلهِ وهي وحدها كفيلة بتخليد ذكرهِ اذا كان مما يستحق الخلود لانها لا بدَّ من ان تذيع عاجلاً او آجلاً فتقدرها العقول قدرها

منذ بضع عشرة سنة اهدى الينا قاسم بك امين نسخة كتابهِ الذي ردَّ بهِ على دوق دركور فرأينا انهُ من كبار الكتاب المتضلعين ولكنهُ جار على الدوق في بعض المواضع فانتقدناهُ في المقطم انتقاد عارف بقدرهِ . والظاهر ان انتقادهُ لكتاب دوق دركور اثَّر في نفسهِ تأثيرًا شديدًا على ما اثبتهُ صاحب المنار في تأبينهِ لهُ قال

"اخبرني قاسم انهُ كان يوم اطَّلع على ما كتبهُ الدوق دركور غافلاً عن حال النساء بمصر فالمَّهُ ذلك النقد والتشنيع فاندفع الى الرد بوجدان الغيرة وبعد ان شفى غيظهُ وارضى غيرتهُ بذلك عاد الى نفسهِ وفكَّر في الامر فرأى ان كثيرًا من العيوب التي عاب الدوقُ بها البيوت المصرية صحيح في نفسهِ فبعثهُ ذلك الى ان درس هذه المسألة قائلاً في نفسهِ انهُ لا ينفعنا اذا كان العيب فينا ان نردَّ على من يعيبنا ونبحث عن عيوب قومهِ وانما يجب علينا ان نبحث عن عيبنا فنعرفهُ ونسعى في ازالتهِ . وطفق يبحث ويسأل ويفكّر في حال البيوت بمصر ويقرأ ما كتب الافرنج في شأن النساء وانتهى بهِ البحث والتنقيب الى تصنيف كتاب تحرير المرأة الذي هزَّ مصر هزة شديدة وشغل جرائدها في تقريظهِ ونقدهِ زمنًا طويلاً وبعث همة غير واحد من حملة العمائم والطرابيش جميعًا الى التصنيف في الرد عليهِ وبذلك طار صيت قاسم بك امين في الآفاق وعُرف اسمهُ في الشرق والغرب وعُدَّ من المصلحين الاجتماعيين"

ولما صدر كتاب تحرير المرأة طالعناهُ وقرظناهُ في المقتطف وانتقدناهُ (انظر الصفحة ٥٢٧ وما بعدها من المجلد الثالث والعشرين الصادر سنة ١٨٩٩) . وختمنا التقريظ والانتقاد بقولنا حبذا لو تصفَّح هذا الكتاب النفيس كل من يغار على وطنهِ وامتهِ وساعد مؤَلفهُ في بث آرائهِ بين الجمهور" . ونحن نكرر هذا القول الآن ونكررهُ دائمًا لانهُ ان لم تتعلَّم النساء وتتهذَّب استحال على الامَّة ان تجاري الامم الراقية في هذا العصر

ثم زارنا بعد ظهور المقتطف وتذاكرنا في موضوع كتابهِ فاعربنا لهُ عن رأينا وهو ترك الشواهد الدينيَّة في المباحث العلمية على قدر الامكان لانهُ لا يُطلب من الباحث اثبات الحقائق العلمية والمذاهب الاجتماعية بالآيات الكتابيَّة والاحاديث النبويَّة كما انهُ لا يُطلب من المهندس والطبيب والزارع ان يثبتوا قواعد علم الهندسة وعلم الطب وعلم الزراعة بالادلة الدينيَّة . ووجه الضرر من الطريقة التي جرى عليها ان الذين يخالفونهُ رأيًا لا يتعذَّر عليهم ان

يأتوا بادلَّة دينيَّة تناقض ادلتهُ وتنفي نتائجهُ كما وقع فعلاً . اما هو فكان جسورًا لا يخاف في الحق لومة لائم فلم يرجع عما قال وعزَّز كتابهُ الاول بكتاب ثانٍ موضوعهُ المرأة الجديدة وهو في رأينا كالكتاب الاول او يفوقهُ في قوة الحجة ووضوح الدليل فاستقبلناهُ بالبشر وقرظناهُ ونقلنا منهُ فصلاً مسهباً في الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين موضوعهُ التربية والحجاب . ولو لم يكتب قاسم بك غير هذا الفصل لكفى وحدهُ لشهرتهِ ولقرن اسمهِ باسماء اشهر المصلحين . ولقد كان في كل كتبهِ وخطبهِ واحاديثهِ ينظر الى الزمن السعيد الذي تتعلَّم فيهِ المرأة الشرقية فيصير كل نساء المشرق مثل فضليات نساء المغرب من حيث العلم والتهذيب

الَّا ان اجتماعنا بهِ كان قليلاً جدًّا فحكمنا عليهِ مبنيٌّ على ما قرأناهُ من كتبهِ وخطبهِ وهذا لا يكفي لان كثيرًا مما يُكتَب و يتلى عادةً قد يكون منقولاً كلهُ او بعضهُ عن كتب الافرنج وخطبهم . لكنَّ الذين عاشروهُ طويلاً وعرفوهُ تمام المعرفة يقولون انهُ لم يكن كذلك . قال كاتب في " الجريدة " ولعلَّهُ مديرها نفسهُ " كان قاسم بك اجتماعيًّا لا كبقية الاجتماعيين الذين يجعلون ادمغتهم محافظ لآراء الغير فاذا حضرتهم المناقشة او دعتهم الكتابة الى موضوع اجتماعي اخذوا يسردون عليك محفوظاتهم من المؤلفين السابقين من غير ان يكون لعقلهم في الموضوع نصيب من الرأي . لا . لم يكن كذلك ابدًا بل كان مفكرًا بالاصالة نقَّادًا لا يستغني عن افكار الغير ولكنهُ لا يعتنقها الَّا اذا اعتقدها وصارت لهُ بما قام في نفسهِ عليها من الادلَّة اليقينيَّة "

ثم قال " بحث قاسم بك في المسائل الاجتماعية على العموم فكان رأيهُ فيها انها خاضعة دائمًا للقوانين الطبيعيَّة قوانين التحليل والتركيب والنمو التدريجي والانتقال و بحث في المسألة الاجتماعية لمصر على الخصوص فوجد ان حلها متوقف على نظام العائلة المصرية ووجد ان المرأة هي الاساس الاول لبناء العائلة "

فهذا شاهد صريح بان الفقيد كان من اهل الرأي والنظر وان ما كان يذكرهُ في كتبهِ وخطبهِ واحاديثهِ إما من مبتكراتهِ او من آراء غيرهِ التي اعتنقها بعد ان اعتقدها بما قام في نفسهِ عليها من الادلَّة اليقينيَّة . ومما هو كالديباجة لكل ما رأيناهُ مما كتب وخطب العلمُ الواسع والاخلاص التام والبعد عن الدعوى . ولقد كان من اكبر المهتمين بانشاء الجامعة المصرية ولما اوقف لها حسن باشا زائد اطيانًا كبيرة الريع وذهب مع لجنة لاستلام الوقفية خطب فاثنى على عمد البلاد واعيان الاقاليم لكرمهم وودَّ ان يكون هذا الكرم في محلهِ دائمًا . قال " لو كان المحسنون يوجهون ارادتهم الى احياء امتهم وتعظيم وطنهم اكثر

من اهتمامهم بشراء الزهور وتشييد القبور واضاءة الاضرحة — لو كانوا يجودون للاعمال بنسبة الخير المنتظر منها لكانت الجامعة المصرية اليوم كامثالها في البلاد الاخرى اغنى جمعيَّة في هذا القطر ولكنها افقرها جميعاً » الى ان قال

« ايها السادة ان الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً ولا تعلن عن نفسها . عاش آباؤُنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وحاربوا الامم وفتحوا البلاد ولم نسمع انهم كانوا يفتخرون بحب وطنهم فيحسن بنا ان نقتدي بهم ونهجر القول ونعتمد على العمل

« يجب علينا ان نفهم ان مسأَلتنا الاجتماعيَّة ليست شيئاً وجد بالصدفة او يتغير بمعجزة بل انها كسائر القضايا العلميَّة مسأَلة تحليل وتركيب وان لتكوين ونمو الجمعيات الانسانية اسباباً عديدة ترتبط بالدين والشرائع والاخلاق والاقليم والجنس واللغة وطرق التربية فتغيير الحال الاجتماعيَّة انما يكون بتغيير الاسباب التي اشتركت في تكوينها فكل ما يكتب ويعمل ويقال في هذا الموضوع هو خير مبارك منتج وما عداهُ فهو تعب ضائع

« ايها السادة : ان من اهمّ اسباب انحطاط الامم وارتقائها طرق التعليم والتربية واذا نظرنا الى ما يجري عندنا وجدنا ان التعليم الموجود الآن لا يصلح الاَّ لاعداد موظفين او اصحاب فنّ يحترفون بهِ للقيام بحاجات الحياة التي لا يستغني عنها كالطب والهندسة والمحاماة وهذا التعليم يوزع في مدارسنا على الطلبة بمقدار معلوم لا يزيد عن الغاية التي وضع لاجلها

« تلك هي خطة الحكومة في التعليم وقد حذا حذوها اصحاب المدارس الخصوصيَّة والحكومة تعترف بان هذا القدر من التعليم غير كافٍ ولكنها اضطرت الى عدم التوسع فيهِ للاسباب التي شرحتها في تقاريرها العديدة واهمها كما تعلمون هي مسأَلة المال

« وفي الحقيقة انهُ لا توجد حكومة في العالم تستطيع ان تتولى بنفسها امر التعليم العام بفروعهِ ودرجاتهِ واذا نظرنا الى ما يجري في البلاد المتمدنة نجد ان القسم الاعظم من التعليم في يد جمعيات علميَّة هي المؤَسسة والمديرة لنظامهِ وان عمل الحكومة فيها محصور في تعضيدها ومساعدتها على قدر الامكان

« هذا هو الذي حمل الحكومة المصرية على استنهاض همة الاهالي لنشر التعليم الابتدائي وهذا ما دعانا ايضاً الى ان نطلب من ابناء وطننا ان يفكروا في نشر التعليم العالي وان يبذلوا ما في وسعهم في سبيلهِ ليكمل نظام التعليم في بلادنا ويصبح وافياً بجميع حاجات الامة

« ايها السادة : نحن لا يمكننا ان نكتفي الآن بان يكون طلب العلم في مصر وسيلة لمزاولة صناعة او لالتحاق بوظيفة بل نطمع ان نرى بين ابناء وطننا طائفة تطلب العلم حبًّا

للحقيقة وشوقاً الى اكتشاف المجهول . فئة يكون مبدأها التعلم للتعلم . نود ان نرى من ابناء مصر كما نرى في البلاد الاخرى عالماً يحيط بكل العلم الانساني واختصاصياً اتقن فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسهُ على الالمام بجميع ما يتعلق بهِ . وفيلسوفاً اكتسب شهرة عامة . وكاتباً ذاع صيتهُ في العالم . وعالماً يرجع اليهِ في حل المشكلات ويحتج برأيهِ . امثال هؤُلاء هم قادة الرأي العام عند الامم الاخرى والمرشدون الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا عدمتهم امة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون

" ايها السادة : اذا نظرنا الى طائفة المتعلمين في مصر وهم متخرجو المدارس العالية نجد انهم يعملون على مبدإ « اكسب كثيراً واتعب قليلاً » ولا نجد فيهم العامل المحب لعلمهِ او فنهِ والعاشق الذي تحتل شهوة العمل في قلبهِ وتتمدد فيهِ وتملأُهُ برمتهِ ولا تقبل منافساً او منازعاً او شريكاً او ضيفاً بجانبها . وانما نجد افراداً قليلين جدّاً يصرفون وقتاً قصيراً من حين الى حين لتكميل معارفهم ولكنهم مجردون عن تلك الحمية تلك النار التي تشعل القلب والشعور والتي بدونها لا تبحث النفس عن تجديد العمل ولا تطلب الارتقاء الى المراتب السامية

" أَلا يظهر لكم مثلي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لاحساسهِ وان اكثر الناس استعداداً للكمال هم اصحاب الإِحساس الذين تهتز اعصابهم المتوترة بملامسة الحوادث وتبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغاً عظيماً فيظهر اثرها فيهم بكثرة وشدة . اولئك هم السعداء الاشقياء الذين يتمتعون ويتألمون . اولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الاول مخاطرين بانفسهم يتنافسون في مصادمة كل صعوبة . من بينهم تنتخب القدرة الحكمية خيرهم وتوحي اليهِ اسرارها فيصير شاعراً بليغاً او عالماً حكيماً او وليّاً طاهراً او نبياً كريماً

" ايها السادة : ان عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم لذاتهِ هو عيب عظيم فينا يجب ان نفكر في ازالتهِ وهو نتيجة من نتائج التربية المنزلية التي غفلت عن تربية احساسنا واهملت تربية قلوبنا وشعورنا فاصبحنا ماديين لا نهتم الاَّ بالنتائج في جميع امورنا حتى في الاشياء التي بطبيعتها يجب ان تكون بعيدة عن الفوائد كعلاقات الاقارب والاصحاب . وليس من المنتظر ان تتغير اخلاقنا من هذه الجهة تغيراً محسوساً الاَّ اذا تم اصلاح العائلة المصرية

" هل يجوز ان يؤْخذ من اعترافنا هذا انَّا نخشى ان الجامعة المصرية اذا فتحت ابوابها لا تجد طلاباً للعلم ؟ سمعت هذا الاعتراض واعتقادي التام انهُ وهم باطل . نحن اذا كنا نأسف لعدم بلوغ حب التعلم الدرجة التي نتمناها لهُ فليس معنى ذلك انهُ مفقود في بلادنا .

حب التعلم موجود ووجد في بلادنا من قديم الزمان ولا يزول عن ارضنا ابدًا : وتاريخ مصر الحديث يثبت باقوى البراهين ان حب التعلم كان ولا يزال ينمو في نفوس امتنا من عهد المرحوم محمد علي باشا الى الآن

" ولي امل عظيم ان انشاء الجامعة المصرية يكون سببًا في ظهور شبيبة هذا الجيل وما يليهِ على احسن مثال وما حالة القلق والاضطراب التي نلاحظها فيها الآن الأ انذار مطمئن يدلنا على انها مملوءة بقوة عظيمة تطلب ميدانًا تتصرف فيهِ لتتمتع بالتوازن الملازم لصحتها

" هذا هو البناء الفخيم الذي نحب ان الامة المصرية تشيده بيدها ليبقى اثرًا خالدًا في هذا القطر وشاهدًا على حسن استعدادها للنمو العقلي والرقي الادبي فكل من وضع حجرًا في هذا البناء يخدم امتهُ اجل خدمة . فشكرًا للسابقين وشكرًا للاحقين في هذا العمل الصالح . واني ارى في الصف الاول من صفوف المحسنين المتبصرين الذين يعرفون كيف يصرفون اموالهم في سبيل الخير رجلين قاما بما يجب عليهما وهما حضرة احمد بك الشريف وصاحب هذه الدار الكريمة " . اه

والفقيد مثل كثيرين من ابناء مصر الذين نبغوا في هذا العصر غرباء اتوها هم اوآباؤهم او اجدادهم فقد نقلت الجريدة ان اباهُ " كردي جيء بهِ مصر في زمن اسمعيل باشا ودخل الجيش المصري ورقي فيهِ الى رتبة اميرالاي وتزوج بكريمة المرحوم احمد بك خطاب اخي ابرهيم باشا خطاب فكان الفقيد اكبر اولادهما " . وقد يستغرب البعض ان كرديًّا يدخل مصر فيحسب نفسهُ من ابنائها ويحسبهُ اهلها منهم وشاميًّا يدخل مصر ويقيم فيها هو واولادهُ واولاد اولادهِ فلا يحسبها وطنًا لهُ وان حسبها هو وطنًا لم يحسبهُ اهلها منهم وقس على ذلك اليوناني والايطالي والفرنسوي ولكن لا وجه للغرابة في ذلك فان كل الذين جاؤوا مصر ولا وطن لهم او لا بلادَ لهم يفتخر بها يضطرون بطبيعة الحال ان يتخذوا مصر وطنًا وينسبوا اليها واما الذين لهم وطن آخر يفوق مصر او لا يقل عنها كفرنسا وايطاليا وسورية فلا يجدون ضعة بل رفعة في نسبتهم الى وطنهم الاصلي ولاسيما لان الزمن الماضي قبل الاحتلال كان يجعل للاجنبي من هؤلاء مزية على الوطني . وحبذا الزمن الذي تصير فيهِ كل الامم التي استوطنت القطر المصري مصرية لفظًا ومعنًى ويصير ابناء اعظم الدول الاوربيَّة يفتخرون بنسبتهم الى الديار المصرية اذ تتمتع مصر بكل الحقوق السياسيَّة والاجتماعية التي تتمتع بها ارقى الامم الارض ويُعرَف حينئذٍ قدر قاسم بك امين وكل المصلحين اضعاف ما يُعرف الآن

هذا وقد احتفل بدفن الفقيد احتفالا يكاد يكون منقطع النظير في مهابتهِ واسف

المشتركين فيهِ فسار في موكب الجنازة نخبة رجال العاصمة من وطنيين واجانب يتقدمهم كبار العلماء ونظَّار الحكومة المصرية ومستشاروها ووكلاء نظارها ورجال القضاء وغيرهم من كبار الموظفين والاعيان وأبَّنهُ عند دفنهِ نخبة اصدقائهِ يتقدمهم صاحبا السعادة سعد باشا زغلول ناظر المعارف وفتحي باشا زغلول وكيل الحقانية وأُبّن في اندية كثيرة من اندية القطر واجمعت الجرائد العربية والافرنجية على التنويه بفضلهِ والاسف عليهِ

آثار منف

على مقربة من القاهرة حيث البدرشين وميت رهينة وصقارة كانت مدينة منف عاصمة القطر المصري التي مصَّرها الملك مينا قبل المسيح باربعة الآف او بخمسة الآف سنة وبقيت عاصمة لهذا القطر الى زمن الفتح الاسلامي بعد المسيح بستمائة واربعين سنة · وقد نشأت في القطر المصري عواصم اخرى في ازمنة مختلفة ولكن بقيت منف عاصمة العواصم ومركز تجارة البلاد وغناها الى زمن الفتح · وبعد الفتح توالى انحطاط البلاد فقل السكان ونضبت الخيرات فهجرت منف · وكانت مبانيها الفخيمة لا تزال كثيرة في زمن عبد اللطيف البغدادي كما يظهر من وصفهِ لها (١) ولكنها هُدمت بعد ذلك وصار النيل يغمرها ويغطيها بطميهِ حتى لم يبقَ منها اثر ظاهر · ويعلم الذين كانوا يذهبون الى صقارة بطريق البدرشين انهم لا يرون من آثارها الاَّ تمثالين كبيرين من تماثيل رعمسيس الثاني وبعض الحجارة المتفرقة · ولقد احجم الباحثون عن كشف آثارها الى الآن لان اكثرها مغطًّى باراضٍ زراعية يصعب ابتياعها من اصحابها · ثم وجهوا همتهم اليها في الشتاء الماضي فبحثوا اولاً عن حرَم هيكل فتاح معبود اهل منف فعرفوا حدودهُ ووجدوا طولهُ ثلث ميل وعرضهُ ربع ميل اي ان سعتهُ كسعة هيكل الكرنك

(١) قال عبد اللطيف في كتابهِ الافادة والاعتبار بعد وصف ما شاهدهُ في منف من آثار المباني "واما الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها فامر يفوت الوصف ويتجاوز التقدير · واما اتقان اشكالها واحكام هيئاتها والمحاكاة بها الامور الطبيعية فموضع التعجب بالحقيقة فمن ذلك صنم ذرعناهُ سوى قاعدتهِ فكان نيفًا وثلاثين ذراعًا · · · وهو حجر واحد من الصوان الاحمر · · · · وهذه الاصنام مع كثرتها قد تركتها الايام الاَّ الاقل منها جذاذًا وغادرتها ارمامًا ولقد شاهدت كبيرًا منها وقد نحت من ضلعتهِ رحى قطرها ذراعان ولم يظهر في صورتهِ كبير تشويه)"

وقد قصر الباحثون نقبهم حتى الآن على الاراضي التي تمتلكها الحكومة ولا يعلمون كيف يتفقون مع الاهالي على النقب في اطيانهم ولكن يليق بالحكومة ان تشتريها منهم او تعطيهم اطياناً زراعية بدلاً منها فانها اذا فعلت ذلك تكون قد خدمت التاريخ والعلم وافادت البلاد فائدة مالية تفوق ما تنفقهُ في هذا السبيل اضعافاً مضاعفة لان مدينة منف اشهر العواصم القديمة واهالي اوربا واميركا يتشوفون الى رؤية آثارها وتحقيق ما كتبهُ هيرودوتس ابو التاريخ عنها فلا عجب اذا وفدوا على القطر المصري بالالوف لمشاهدتها وقضوا في القاهرة اياماً كثيرة لهذه الغاية فتكتسب البلاد منهم كل سنة ما يربو على ما تنفقهُ الحكومة في هذا السبيل

اما الآثار التي كشفت في ما نقب حتى الآن فباب كبير من المرمر (الغرانيت) يظهر انهُ نقل الى هناك من هيكل الشمس في ابوصير في عهد الدولة الخامسة من الدول المصرية ومذبح من المرمر من عهد الدولة التاسعة وجزء من امر ملكي من عهد الدولة الثانية عشرة وكثير من الالواح الحجرية المكتوبة في عهد الدولة الثامنة عشرة وفيها ما يدلُّ على اسلوب من اساليب العبادة لم يكن معروفاً حتى الآن فقد رسمت فيها آذان كثيرة وكتب تحتها ما يدلُّ على انها رسمت هناك لتسمع دعاء الداعين وتبلغهُ الى الاله المعبود . ويلزم لكشف آثار هذا الهيكل كلهِ سنون كثيرة لاتساعهِ الهائل

وجرى البحث ايضاً في حي الغرباء نزلاء منف فوجدت آثار هيكل هاثور وهي التي سماها هيرودوتس بالزهرة ولم يكشف الآن الاَّ جانب من الرواق المقدَّم وقد وجد فيهِ ما يدلُّ على انهُ كان مزداناً ابدع زينة كما قيل عنهُ . ووجد في اساسهِ تاج عمود صنع في الزمن الذي بنيت فيهِ الاهرام ووجد في حي الغرباء ايضاً رؤُوس تماثيل صغيرة تمثل اناساً من الفرس والقزاق واليونان والسوريين والهنود . وسيكون لما يكشف من الآثار في هذا الحي اكبر شأن في علم التاريخ لانهُ كان مباءة للتجار من كل امم الارض

ووجد في بقعة اخرى آثار بناء من عهد الملك سي آمن ولم يوجد شيء قبل الآن من آثار هذا الملك وفي بقعة غيرها عمود كبير طولهُ ثلاث عشرة قدماً ولعلهُ جزء من بناء كبير متصل بهِ . هذا عدا ما وجد من الادوات الصغيرة التي تدل على ان منف كانت داراً للصناعة كما كانت داراً للتجارة

و ياحبذا لو كلفت الحكومة مديري دار التحف بوصف كل ما يوجد من هذه الآثار باللغة العربيَّة حتى يطلع عليها ابناء هذا القطر

الاعضاء الاثرية

والخلل في نظام التركيب الانساني

تتألف الاجسام الحيوانية والنباتية من اجهزة واعضاء لكل منها وظيفة معينة يعمل بها في كل ادوار حياتهِ عملاً خاصًّا بهِ ويستمرّ عليهِ من حين يولد الى حين يموت . وتحتوي ايضًا على اجهزة واعضاء متقهقرة او ضامرة لا تعمل عملاً ولا تقضي وظيفة وتعرف بالاعضاء الاثرية وهي من اهم الظواهر البيولوجية التي اشكل فهمها على علماء التاريخ الطبيعي الاقدمين فذهبوا فيها المذاهب المضحكة وبقي سرُّها غامضًا حتى شاع مذهب دارون وثبت بهِ ناموس التحوُّل والارتقاء فثبت لعلماء هذه الايام انها اعضاءٌ كانت عاملة في الاصل فامتنعت عن عملها بضرورة تطبيق المعيشة على الاحوال الخارجية وبتمادي القرون خسرت وظيفتها وضمرت ولكن وجودها رسخ في النسل بناموس الوراثة . وهي كثيرة في الحيوان والنبات الاَّ اننا نقتصر على بعض الامثلة لبيان اصلها

ففي النبات توجد الاعضاء الاثريَّة غالبًا في الزهر فنرى اكثر اجزائهِ على درجات متفاوتة من البلوغ والنمو والتلهوج والضمور كما في ازهار الفصيلة الشفوية التي منها النعناع والمردقوش والصعتر فان من خصائصها ان يحتوي زهرها الشفوي على سداتين طويلتين واخريين قصيرتين ولكن كثيرًا من تنوعات هذه الفصيلة كالقصعين وحصى اللبنى لاتحتوي الاَّ على زوج واحد تام النمو واما الزوج الثاني فضامر او مفقود وفي بعضها يكون الزوج الثاني موجودًا ولكن الكتلة التي تكون عادةً على رأس السداة تكون خالية من الغبار الذي يغشاها وعليهِ يتوقف التلقيح فتكون من هذا القبيل عديمة الفائدة . وقد توجد سداة خامسة اثرية لا فائدة لها ولا معنى لوجودها سوى الاستدلال على القرابة الطبيعية بين هذا النوع ونوع سابق هي فيهِ ذات فائدة

واما في الحيوان فالاعضاء الاثرية كثيرة جدًّا حتى انهُ لا يخلو حيوان منها ومن امثلتها ان لذوات الفقرات زوجين من الاطراف يتصلان بالجذع احدهما مقدم وهو اليدان والثاني خلفي وهو الرجلان وكثيرًا ما يكون احد الزوجين ضامرًا او يكون الاثنان معًا ضامرين كما في الحيات وبعض الاسماك واذا فحصنا البواء وغيرها من الافاعي الكبيرة وجدنا في القسم الخلفي من جسمها قطعًا عظمية لا فائدة منها ولا معنى لوجودها وانما هي بقايا رجليها

اللتين فقدتهما . ويشبهها الحيتان ذوات الثدي فان لها طرفين مقدمين اي عوامات صدرية وليس لها طرفان خلفيان بل يمثلها زوج من القطع العظمية مستتر تحت اللحم ليس لهُ اقل منفعة

وفي مقدم الفك العلوي عظم صغير يسمى العظم بين الفكين يصل بين الفك الايمن والفك الايسر فيكمل قبوة الحنك فالحيوانات المجترة كالبقر والغنم والمعزى يكون لاجنتها اسنان قواطع في العظم المذكور الاَّ انها لا تبرز منهُ فهي اذًا اثرية وعديمة الفائدة . والحيتان ذوات الثدي يكون لاجنتها اسنان مرصوفة في الفك العلوي ولا فائدة لها حينئذٍ لاستحالة المضغ على الجنين واما بعد الولادة فتتحول الى صفائح غضروفية فلا تفيد قبل الولادة ولا بعدها فوجودها دليل على انها اثرية اي انها اثر لاصل سابق

واغرب ما ترى من الاعضاء الاثرية العيون العمياء في الحيوانات التي تعيش في الاماكن المظلمة كالكهوف والسراديب التي تحت الارض فانها موجودة فيها وقد تكون كاملة النمو والتركيب الاَّ انها لا تبصر لانها مغطاة بغشاء يحول دون اشعة النور ان تخترق الى داخلها كما في الخلد والفار الاعمى وبعض الحيات والحراذين والاسماك والامفيبيا اي الحيوانات المائية الهوائية وفي كثير من عديمات الفقرات كالجعل والحيوانات الحرشفية والديدان الخ

ومن امثلتها في الانسان عضلات اذنهِ فان اذن الانسان لا تتحرك رغماً عن كونها مجهزة بجهاز عضلي يقضي بان تتحرك الى الاعلى والاسفل والامام والخلف الاَّ ان الانسان لما صار يحرك رأسهُ حركة رحوية اضاع حركة اذنيهِ وبقيت عضلاتها ارثًا عن اسلافهِ الذين كان لهم آذان كبيرة طويلة ذات حركات كثيرة وسريعة وهكذا يقال عن بعض طوائف الكلاب الداجنة التي استرخت اذانها بتأثير الدجن فيها

ومن اغرب الاعضاء الاثرية في الانسان البروز اللحمي في موق عينهِ قرب جذر انفهِ وهو ثنية من الجلد هلالي الشكل لا فائدة لهُ ولا معنى لوجودهِ بل كثيرًا ما يكون سبب اضرارٍ للعين فهو اثر لجفن ثالث نامٍ جدًّا في الطيور والحشرات وبعض الاسماك ولا سيما كلب البحر حيث هو كثير النفع ويسمى جفن الغمض

وقد اهتم كثيرون من علماء تشريح المقابلة بهذه المسألة وقابلوا بين اعضاء الانسان وبين ما يقابلها في الحيوان ولا سيما القرود فوجدوا نموًا زائدًا في ١٥ عضوًا من اعضائهِ بالنسبة الى ما يقابلها من القرود كنمو الطرفين السفليين الموافق لوقوفهِ ومشيهِ منتصبًا وما

يتبع ذلك من عرض الحوض والعجز في المرأة لحمل الجنين ونمو عضلات الساقين وتنوع بعض عضلات الوجه والانف وبعض عضلات المخ والنخاع الشوكي والفص المؤخري وزيادة انتشار الطبقة القشرية في الدماغ ومرونة عضلات الحنجرة وتكييفها لسهولة التكلم . ووجدوا سبعة عشر عضواً من اعضائهِ في حالة التقهقر الاَّ انها لا تزال قادرة على قضاء وظيفتها الفيسيولوجية ولكن ببعض الضعف كعضلات الساق والعضد واصابع الرجلين ومئة وسبعة اعضاء لا تعمل اقل عمل فيسيولوجي موافق لوجودها كالعصعص وهو بقية الذنب والزوج الثالث عشر من الاضلاع والثديين في الرجل والزائدة الدودية والشعر المنتشر على سطح الجلد الخ

وقد ارتقى الانسان ارتقاءً عظيماً بالنسبة الى القرود الشبيهة بهِ بل بالنسبة الى الطوائف الواطئة من نوعهِ كالهوتنتوت واهل استراليا الاصليين . ويخطئ من يقول ان الطبيعة تكون على اتم النظام والكمال حيثما لا يتعرض لها الانسان الذي يشوهها باعمالهِ لان الانسان فاق الطبيعة في احوال كثيرة فان المولعين بتربية الازهار والطيور ولَّدوا من الغرائب ما يدهش العقول حتى لقد يجتمع الفريق منهم و يرسم شكلاً رائقاً للزهر الذي يريد ان يولدهُ فيفعل و ينجح ومثلهُ المولعون بتربية الطيور . ومن يشاهد معرض الازهار في القاهرة لا يسعهُ الاَّ الاعتراف بذلك لما يرى من التفنن البديع في ايجاد تباينات متعددة للزهر الواحد مما يدل على اقتدار الانسان على خلق الاشكال

وقياساً على ذلك زعم قوم انهُ يمكن ايجاد صورة للانسان اتم واكمل من صورتهِ الحاضرة كأن يكون لهُ اجنحة ولكنهُ بلغ على ما يظهر حد الكمال الحيواني بحيث لا يمكن ان يكون لهُ صورة حيوانية اجمل من الصورة التي هو عليها الآن . على ان ذلك لا يطلق على التكوين الانساني عموماً لان الجمال انما يكون في دور الصبا والشباب وبعض الكهولة واما في الشيخوخة فيكون الرجل والمرأة على حال من الشناعة كثرت او قلَّت . وفي الهرم يزول كل اثر للجمال الرائع . وجمال الانسان انما هو في صورتهِ البشرية وبالخصوص في ملامحهِ واما في الاجهزة والاعضاء فلا جمال ولا كمال بل تشويش في التركيب وخلل في التكوين كما قلنا آنفاً ونريد ان نبسط الكلام فيهِ هنا

فمن الامثلة على ذلك الشعر الذي يتوزع على سطح الجلد فيكون اولاً في الجنين زغباً يغطي الجلد كلهُ ما عدا الانف والراحتين والاخمصين وينزل على الكتفين والظهر على هيئة بنود مستطيلة ومنتظمة وبعد الولادة يقع و ينبدل بشعر يدوم مدة الحياة وينمو في البلوغ والشيخوخة ويشبه ان يكون كساءً لا شيءَ فيهِ من الجمال او الفائدة . ومما لا ريب فيهِ ان

هذا الشعر هو من الآثار التي ورثها الانسان عن اسلافهِ وهو ليس في شيء من كمال التكوين او جمالهِ بل هو خلل فيهِ لان الجلد كثير التعرض للامسة الميكروبات المحمولة بالغبار وبصلات الشعر مستودع مناسب لنموها وبعض الامراض الجلدية كالاكنة والدمامل تحدث من نمو المكروب في بصلات الشعر وقنواتهِ . فالشعر اذاً عيب في تكوين الانسان لانهُ استعاض بعقلهِ عن كثير من الصفات الحيوانية وعرف ان يتقي العوارض الخارجية بما اخترع من انواع الكساء حسب ما تقتضيهِ الحرارة المحيطة بهِ على ان ناموس الوراثة يضطرهُ الى احتمال الشعر الاثري وما يحدث عنهُ من العوارض السيئة

ومن الامثلة على ذلك ايضاً جهاز الاسنان فان فيها من العيب ما لا يتفق مع حاجات الانسان الاساسية لكنها وان امكن للانسان الاستغناء عنها عند الضرورة لا تعتبر مضرة كالشعر . وعددها في الانسان ٣٢ وهي في كل فك ٤ قواطع ونابان و ٤ اضراس صغيرة و ٦ اضراس كبيرة واما في القرود فهي ٣٦ اي لها زوج رابع من الاضراس في كل فك زيادة عما في الانسان . ومما يستحق النظر هو ان الاسنان في قرود العالم القديم مائلة الى النقص والضعف و يغلب ان يكون عددها ٣٢ وهي في ما يماثلها من قرود العالم الجديد ٣٦ فالزوج الرابع من الاضراس قد فقد من الانسان بسبب سهولة المضغ الحاصلة عن تحضير الاطعمة ومن ثم بسبب قصر الحنك . وقد يوجد الزوج المذكور في الانسان ويبلغ بهِ عدد الاسنان ٣٦ كما في القرود الاَّ ان ذلك يكون خاصة في الشعوب الواطئة كالزنوج واهالي استراليا الاصليين واهالي كاليدونيا الجديدة فالصفة الخاصة بالانسان هي فقد الزوج الرابع من الاضراس . وفقد الزوج الثالث اى اضراس الحكمة او العقل هو الإعراق في الانسانية وهو كثير في النسل الابيض لان ١٠ في المائة من اهالي اوربا لا تظهر فيهم اضراس العقل ولا ينبت لهم سوى ٢٨ سناً فقط و يغلب فيهم نقصان الزوج الثالث من الفك العلوي . ففقد اضراس العقل يجب ان يعتبر صفة خاصة بالانسان لان وظيفتها الفسيولوجية محدودة وفعلها في المضغ ضعيف جدًّا وفقدها لا يؤَثر فيهِ شيئاً واطباء الاسنان يحذفونها من الجهاز الصناعي وقد علمنا بالاختبار والمشاهدة ما يتأتى عنها من العوارض السيئة والعلل المزعجة بسبب بطوء نموها وصعوبة بروزها من الغشاء المخاطي الذي يغطيها . وهي سريعة النخر والغشاء المخاطي الذي يغطيها معرض لكل نوع من العلل الصغيرة التي تجلب الفساد الى الاجزاء المجاورة فيحصل بسببها احتقانات وخراريج ونخر الفكين وتيبس اربطة الفك وانطباق الفم وامتناع فتحهِ واحياناً خراريج حول الفك يعقبها خراريج دماغية الى غير ذلك من العوارض القتالة

التي لا تقابلها وظيفة مفيدة · فاضراس العقل اذاً اصبحت في الانسان ضعيفة او اثرية ولا يمكن اعتبارها مكملة لنظام تركيبهِ بل مخلةً فيهِ ومشوشة لهُ وانما كانت مفيدة لاجدادنا البعيدين للزومها في مضغ اغذيتهم الصلبة

ومن الاعضاء الاثرية التي تستحق الالتفات من وجوه كثيرة الزائدة الدودية وهي قطعة صغيرة من المعى ليس لها اقل فائدة في الانسان لان استئصالها اصبح من العمليات الشائعة كثيراً وقد استؤصلت في احوال مشبوهة اي لم يكن المرض فيها موَّكداً وفي الحالين لم يحصل من استئصالها اقل اذًى ولم تتأثر وظيفة الهضم المعوي اقل تأثير · ويغلب ان تنسدَّ بعد سن الخمسين وقد تنسد في الاطفال والشباب ويمتنع استطراقها الى الامعاء واشتراكها معها في الهضم ويبقى الهضم على ما كان عليهِ بحال الاستطراق ولا يشعر باقل ضعف او خلل يطرأُ عليهِ بعد السد وعليهِ تكون الزائدة الدودية عديمة الوظيفة وعديمة الفائدة

ووظيفتها في القرود محدودة ايضاً وتقتصر على فعل الغدد الليمفاوية واما في الدرجات الواطئة من سلم الحيوانات ففائدتها كبيرة ففي بعض الحيوانات التي تغتذي بالنبات كالارنب وبعض ذوات الكيس يكون المعى المعروف بالاعور نامياً جدًّا و ينتهي بقطعة كثيرة الغدد الليمفاوية وشبيهة بالزائدة الدودية يقضي وظيفة مهمة في هضم المواد النباتية فهي في الاصل عضو مفيد ومتأصل في الجسم الحيواني وقد حفظ في الانسان بفعل الوراثة. وبما ان الاعضاء الاثرية تمتاز بضعفها الموروث فتكون كثيرة التعرض للامراض والزائدة الدودية تثبت ذلك لان التهابها كثير الحدوث ويشغل محلاً مهمًّا في امراض القناة الهضمية ولاثبات ذلك يكفي ان نذكر الحوادث التي عولجت في مستشفى واحد من مستشفيات باريس ففي مدة خمس سنوات اي من ١٨٩٥ الى ١٨٩٩ عالجوا في مستشفى تروسو فقط ٤٣٣ حادثة وبما ان استطراقها يكون تامًّا في الاحداث والشبان فيصابون بها اكثر من سواهم ويقال ان ٣٦ في المائة من الاصابات يكون تحت سن العشرين واما الشيوخ فيصابون بها نادراً

وسبب التهابها ضعف حركتها وسهولة انحشار المواد الغريبة فيها فقد وجدوا فيها بعد الاستئصال مواد متنوعة كالمواد البرازية والبزور والشوك والشعر ووجدوا احياناً دبابيس ومسامير وهذه المواد تؤذي جدار الزائدة وتلقحهُ بالمكروبات فيحصل التسمم المكروبي والالتهاب · وقد تدخل ديدان الامعاء الى جوف الزائدة وتلقحها بالجراثيم المرضية وتسبب مرضاً يختلف شدةً ووطأة باختلاف جرثومتهِ · فالزائدة الدودية اذاً من اوضح الادلة على خلل التركيب الطبيعي والانفع للانسان ان لا توجد في امعائهِ فيسلم من ضرر كثير

والاعور نفسهُ الذي تنتؤُ منهُ الزائدة الدودية متقهقر في الانسان وقليل النفع او عديمهُ وهو كثير النفع في الحيوانات التي تغتذي بالنبات حيث يقضي وظيفة هضم حقيقية

ولا يستغرب القارئ اذا قلنا ان قسماً كبيرًا من القناة الهضمية يمتاز بنموهِ واتساع سطحهِ هو ايضاً اثر موروث عن الاصل الحيواني وغير مفيد للانسان ونعني بذلك الامعاء الغلاظ بكاملها لانها بالحقيقة عضو فضولي في جسم الانسان لا فائدة لها في الهضم ولا قوة فيها على امتصاص الغذاء الاَّ ما قلَّ وقد استؤصلت كلها او بعضها بدون ضرر ولا تعطيل في الصحة او في البنية · ومن الادلة الواضحة على ذلك ان امرأة اصابها ناسور فصارت تتغوط منهُ وعاشت بهِ ٣٦ سنة وتزوجت وولدت اولادًا وكانت دائماً متمتعة بصحة جيدة وقصد احد الجراحين ان يشفيها من الناسور وبعد مباشرة العمل وجد الامعاء الغلاظ مسدودة على طولها وضامرة فاضطر ان يوقف العملية

والامعاء الغلاظ نامية جدًّا في الحيوانات التي تغتذي بالنبات لانها تفيدها في هضم المواد النباتية اذ لا فائدة لها تذكر في هضم المواد الحيوانية · وهي تتضمن في الحيوانات المذكورة عددًا كبيرًا من المكروبات التي تساعد على هضم الياف النبات التي يصعب هضمها جدًّا لولا وجود المكروبات · فالامعاء الغلاظ ضرورية لحياة الحيوانات التي تغتذي بالنبات كالحصان والارنب والبقر وغيرها من ذوات الثدي

ويظهر لنا من درس التاريخ الطبيعي ان المعى الغليظ لا يبلغ حدهُ من النمو الاَّ في ذوات الثدي لانها تعيش على الارض وهي سريعة الحركة وتضطر الى السرعة اما للانقضاض على فريستها او للهرب من اعدائها وفي كلا الحالين لا يوافقها ان تقف في سيرها المدة اللازمة لتفريغ امعائها لان ذلك يذهب بالفائدة المطلوبة لحياتها ويكون وقوف المبرزات في حوض كبير كالمعى الغليظ في غاية الموافقة لتنازع البقاء فالمعى الغليظ بمثابة حوض تجتمع فيهِ فواضل الهضم كما يجتمع البول في المثانة

اما الطيور التي تعيش على نوعٍ ما في الهواء فلا تحتاج الى الوقوف لطرد فواضل الهضم ولهذا ليس لها معى غليظ · والحشرات والحيوانات البرية مائية وان كانت تعيش على الارض ليس لها معى غليظ اذ لا حاجة لها بهِ لان دمها بارد واكلها قليل وعيشتها هادئة وحركتها بطيئة وسيرها قليل وغير متواصل

يظهر مما تقدم اننا ورثنا عن الحيوانات اعضاء اثرية غير مفيدة او مضرة واعضاء نامية غير مفيدة ايضاً ومضرة احياناً كثيرة لان المعى الغليظ حوض تجتمع فيهِ فضلات الطعام

وتخزن وتفسد ويحصل من فسادها اضرار جمة لان المواد البرازية اذا طال مكثها في المعى مدة طويلة كما يحصل في القبض امتصت بعض المواد الداخلة في تركيبها وامتزجت بالدم واحدثت تسمماً شديداً وكلٌّ يعلم ان القبض يسبب حمى ويحدث بثوراً كبثور الاكنة وغيرها من الامراض الجلدية عدا عن انهُ مركز امراض كثيرة وخطيرة كالدوسنطاريا ولا سيما في البلاد الحارة والاورام الخبيثة ولا سيما السرطان وكثير غيرها مما هو ثابت من تعداد الحوادث ومراقبتها في المستشفيات

لا غرو ان تتعدد في القناة الهضمية الاعضاء او الاجزاء المضرة او اللالزوم لها لان اجداد الانسان كانوا يغتذون بالاغذية الغليظة كالنباتات البرية واللحوم النيئة واما الانسان فقد عرف ان ينتخب من النبات ما كان سهل الهضم وان يحضر من الغذاء ما كان سهل التمثيل فاصبحت الاعضاء التي كانت موافقة لاسلافهِ غير موافقة لهُ. وكل حيوان يتمكن من الحصول على اغذية سهلة التمثيل غير جانباً كبيراً او صغيراً من قناتهِ الهضميَّة كالدودة الوحيدة التي تعيش في معى الانسان فانها تعوم في سائل مهيأٍ لتغذيتها ولا تحتاج الى عمل هضمي ففقدت قناتها الهضمية . اما الانسان فلم يتوفر لهُ ذلك فحفظ من المعي الغليظ ما ليس لهُ فيهِ سوى الضرر وقضى عليهِ قانون صحتهِ ان يدخل دائماً في طعامهِ المواد النباتية مراعاة لتركيب قناتهِ الهضمية

والخلاصة انهُ بعد بيان ما ذكر من سوء نظام الجهاز الهضمي وخلل تركيبهِ لم يبقَ مجال للقول بان الاجهزة العضوية تعمل عملها الفسيولوجي طبقاً لغاية مرسومة لها وانها مخلوقة على نظام بديع وكامل لا يقبل التغيير والتبديل لان ما الفائدة من آلات لا عمل لها ومن اجهزة عضوية وجدت لغاية وهي لا تستطيع ان تصل اليها . فالاعضاء الاثرية قد كانت بالحقيقة اكثر كل الظواهر البيولوجية غموضاً واصعبها تفسيراً وقد حاول علماء الطبيعة المتقدمون حلها وارتأوا فيها الآراء الغريبة والمضحكة كقولهم ان الخالق بعد ما بنى الهيكل الانساني ورتَّب فيهِ الاجهزة والاعضاء على نظام متناسب ومتناسق رأى من الحكمة ان يبقي لهُ تلك الاعضاء ولو كانت عديمة الفائدة ليكمل بها النظام والترتيب على نحو ما يفعل اصحاب الرتب الذين يلبسون البدلة الرسمية ويتقلدون السيف بدون ان يجردوهُ . واما المتأخرون فقد هان عليهم حلها والتعليل عن سبب وجودها بناموس الارتقاء لان ضرورة تطبيق العمل على الاحوال الخارجية يقضي بان الاعضاء التي تزيد عملاً تزيد نمواً ونشاطاً والتي يقل عملها يقل نموها ونشاطها حتى اذا انقطعت عنهُ لاستغنائها عما يلزمها من فائدتهِ

ضمرت وخسرت وظيفتها الأ ان الوراثة تسلمها من جيل الى آخر وبتوالي الاجيال تختفي او يبقى لها اثر طفيف

فالعوامل الحقيقية اذاً في عالم الحياة ليست الاَّ عوامل طبيعيةٌ وترجع في اسبابها الى الطبيعة كما ان العوامل الحقيقية في عالم الجماد هي عوامل طبيعية وراجعة في اسبابها الى الطبيعة • فاذا عرفنا ذلك انجلى لنا الغامض من الكون وادركنا سرَّ تكوينهِ الميكانيكي وتحققنا ان الطبيعة لا تجري مجراها طبقاً لغاية موضوعة لها لاننا اذا انعمنا النظر في العلاقة المشتركة بين الحيوان والنبات بدون ان نستثني الانسان رأينا ما يفسد هذا الزعم اي اننا لا نجد تلك العاطفة بين الكائنات الحية التي يتغزل بها شعراءُ المحافظين على الاعتقادات التقليدية بل نجد حرباً دموية تستعر نارها على الدوام من الكل ضد الكل • فمجرى الحياة اذاً هو الهوى وحب الذات سواءٌ كان ذلك عن تعقل اوعن غير تعقل ووجود الاعضاء الاثرية قد قضى على تلك الاعتقادات الفارغة لا سيما وانها مع عدم فائدتها قد تكون سبباً لامراض واسقام كثيرة والجسم الانساني لا يحسب كاملاً او مرتقياً تمام الارتقاء الأ بزوال الاعضاء المضرة منهُ والمخلة ببنائهِ ونظامهِ • على ان الوهم اذا رسخ عُدَّ حقيقةً والاعتقاد اذا تأصل حُسب كل بحثٍ خارج عن حدودهِ كفرًا ولكن العلم لا يقف عند حد الشك ولا يرضى الأ بالحقيقة فيبحث عنها اينما كانت وحيثما وجدت • فالتديُّن من صفات الانسان التي يمتاز بها عن الحيوان اذاً لا يستطيع الاَّ ان يدين بدين ولكنهُ يستطيع ان يتوسع في تأويل الدين بحيث لا ينفصل عن العلم كل الانفصال فاذا اعتقد ان الخالق وضع للكون نظاماً عاماً احد نواميسهِ ناموس الارتقاء كان لهُ متسع للبحث والتأويل ونزَّه معبودهُ من صفات النقص التي ليست في الحقيقة الاَّ في عقلهِ وادراكهِ

وخير للدين وللعلم ان يجري كلٌّ منهما في خطتهِ مستقلاً عن الآخر فكما لا يعارض الدين علم الزراعة ولم يعارض علم الطب ولا هذان العلمان يعارضانهِ كذلك يجب ان لا يتعارض هو وعلم الحياة

وقد اقتصرنا فيما تقدم على البحث في بعض الاعضاء الأثرية وخصوصاً ما كان منها في الجهاز الهضمي وبقيت اعضاءٌ اخرى ما لا تقل عنها اهمية وفائدة ولا سيما ما يختص منها بالغرائز والحس وحفظ النوع وسنأتي على ذلك في فرصة ثانية ان شاء الله

الدكتور امين ابو خاطر

تحفة الظرفاء

في تواريخ الملوك والخلفاء

نظم حماد بن محمد بن احمد الباعوني الشامي الدمشقي الشافعي

هذه الارجوزة من عنائق المخطوطات القديمة ولم يذكر تاريخ نسخها ولكن يظهر من شكل كتابتها وورقها انها قديمة العهد ولم اجد لها نظيرًا في المكتبة الخديوية بل رأيت في مجموعة ٢٠ من المكتبة كراسة فيها قصيدة جلال الدين السيوطي مسماة هناك تحفة الظرفاء باسماء الخلفاء وهي معروفة ومطبوعة في ذيل كتابهِ تاريخ الخلفاء وعنوانها فيهِ قصيدة في اسماء الخلفاء ووفياتهم

اما ارجوزة الباعوني فتختلف عن قصيدة السيوطي اختلافًا كليًّا. وقد وجدت ترجمة الباعوني في كتاب ديوان الاسلام للشيخ الامام شمس الدين ابي المعالي محمد بن عبد الرحمن الشافعي الدمشقي العامري المعروف بابن الغزي (وهو خط في المكتبة الخديوية) . قال في قسم الالقاب : " الباعوني : محمد بن احمد بن ناصر الامام الفاضل الاديب شمس الدين الدمشقي الشافعي لهُ مؤلفات منها نظم سيرة مغلطاي وارجوزة في الخلفاء العباسيين و ينابيع الاحزان توفي بدمشق سنة ٨٧١ " اما السيوطي فتوفي سنة ٩١١ هـ

ولا اعلم لماذا خص الارجوزة بتاريخ الخلفاء العباسيين مع انها تحوى تواريخ الامويين ايضاً والدولة الفاطمية ودولة بني ايوب

وقد اقتصرت على الابيات المختصة بالتاريخ وعلقت عليها شرحًا وجيزًا في الحاشية اتمامًا للفائدة وذكرت اسماء الخلفاء بين الابيات وهي غير موجودة كذلك في الاصل والارجوزة بعد الفاتحة كما ترى

يوسف اليان سركيس

وبعدُ فالتاريخُ علمٌ شرَفُهْ عاليةٌ بين الانام غُرَفُهْ
وفيهِ ما فيهِ من المنافعِ حتى لقد قال الامامُ الشافعي
في خبرٍ قد صحَّ عنهُ نقلُهُ مَنْ حفظ التاريخ زاد عقلُهُ
وهو كلام ظاهرٌ لا شكَّ في صحتهِ وسرّهُ غيرُ خفي

وهذه ارجوزة لطيفهْ الفاظها رشيقة ظريفهْ

فيها تواريخ جميع الخلفا ... من بعد خير العالمين المصطفى
من حين بايعوا الامام البرّا ... خلّ النبيّ وهلمّ جرّا
الى زمان المستعين بالله ... بلّغهُ الله المرادَ كلَّه
وبعدهُ الى زمان الاشرفِ ... عامَلَهُ الله بلطفهِ الخفيّ

(ابو بكر الصديق)

بعد النبيِّ بايع الناس ابا ... بكرٍ امام المسلمين المجتبي
فتم عامين وثلث عام(١) ... وعمّ بالفضل وبالانعامِ
وقام في قتال اهل الردّه ... مجتهدًا في كشف تلك الشدّه
مجرّدًا مرهفهُ اليماني ... حتى اعادهم الى الايمانِ

(عمر بن الخطاب)

ثم مضى الى سبيلهِ ومر ... فبايع الناس ابا حفصٍ عمرْ
من بعدهِ بعهدهِ فقاما ... بهِ منارُ العدلِ واستقاما
واحسن السيرة والسلوكا ... وارهبت هيبتهُ الملوكا
وشاد اركان الهدى والحقِّ ... وقام في قمع شرار الخلقِ
وبعث البعوث والامدادا ... لغزوهم وجنّد الاجنادا
واخذ البلاد منهم قسرا ... وهدّ ركنَ قيصر وكسرى(٢)
اقام عشر حجج تليها ... ستة اشهر يسير فيها
سيرة عدلٍ وصلاحٍ وهدى ... وحاز في الآخر اجر الشهدا

(عثمان بن عفان)

من بعدهِ قد اشرق الزمانُ ... لما ولي من بعدهِ عثمانُ
اقام عشر حجج تلتها ... ثنتان للمدّة اكملتها

---

(١) بويع ابو بكر يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة (٦٣٢ م) وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة (٦٣٤ م) ولهُ ثلاث وستون سنة

(٢) ولي عمر الخلافة بعهد من ابي بكر في جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة (وقال النووي استخلف عمر يوم توفي ابو بكر) ومات يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين (٦٤٤ م). وكثرت الفتوح في ايامهِ ففتحت الشام كلها وفلسطين ومصر والجزيرة والعراق حتى بلاد خراسان وفارس وطرابلس المغرب

وماتَ بعد عصرهِ شهيدا وكان طول عمرهِ سعيدا (١)

(عليّ بن ابي طالب)

فبايعوا من بعدهِ عليًّا فاصبح الحق بهِ جليًّا
وكيف لاوهو ابن عم الهادي وسيّدِ العبادِ والزهّادِ
فسار فيها سيرةً جميله وتمّ فيها مدة قليله
عدّتها من السنين اربع وتسعة من الشهور تتبع (٢)
من بعدما ابدى بها اجتهاده وفاز في المحراب بالشهاده

(الحسن بن علي)

فبايعوا من بعدهِ ابنهُ الحسن سبط رسول الله ذا الوجهِ الحسن
فسار فيها مبديًا عفافه وكمّل الله بهِ الخلافه
من بعد ما اقام نصف عام (٣) وصحّ قول سيد الانامِ
تكون من بعدي ثلاثين سنه خلافةً على السداد حسنه
وبعدها ملكاً عضوضاً وصدق وكلما قال النبيُّ فهو حق

(معاوية بن ابي سفيان)

وسلّم الامر الى معاويه ولم يكن في شرف مساويه
لكنهُ آثر كشفَ الغمّهْ بالصلح صونًا لدماء الامه
وقد جرت بذلك الاقدارُ والله فعّالٌ لما يختارُ
ثم استمرّ بعدهُ معاويه يردي بسيف عزمهِ مناويه
اقام عشرةً من الاعوام وتسعةً يحكم في الانامِ
وزال ملكهُ وولّى وانقضى وراح عنهُ مثل امسٍ قد مضى (٤)

---

(١) بويع عثمان بالخلافة بعد دفن عمر بثلاث ليالٍ وقتل يوم الجمعة لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة ٣٥ ﻫ (٦٥٦ م) ولهُ من العمر اثنتان وثمانون سنة (٢) بويع عليٌّ بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة وتوفي سنة ٤٠ (٦٦١ م) ولهُ ثلاث وستون سنة وقيل كان لهُ تسع عشرة سرية (٣) ولي الحسن الخلافة بعد قتل ابيهِ بمبايعة اهل الكوفة فاقام فيها ستة اشهر واياماً . ثم سار اليهِ معاوية فارسل اليهِ الحسن يبذل لهُ تسليم الامر اليهِ على ان تكون لهُ الخلافة من بعدهِ وعلى ان لا يطالب احدًا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشيءٍ مما كان ايام ابيهِ وعلى ان يقضي ديونهُ . فاجابهُ معاوية الى ما طلب فاصطلحا على ذلك ... ونزل لهُ عن الخلافة ... وكان نزولهُ عنها في سنة احدى واربعين (٦٦١ م) (تاريخ الخلفاء للسيوطي)

(٤) مات معاوية في رجب سنة ٦٠ (٦٨٠ م) ودُفن في باب الجابية وباب الصغير (في دمشق) وقيل انهُ عاش سبعًا وسبعين سنة وكان يضرب بحلمهِ المثل

(يزيد بن معاوية)

ثم تولاَّها ابنهُ يزيدُ   والله فعالٌ لما يريدُ
اقام فيها نافذ الاحكام   اربعةً تعدُّ في الاعوامِ
تزيد اياماً وجاء اجلهْ   فبان مما قد جناهُ خجلهْ

(معاوية بن يزيد)

واصبحت منهُ البيوت خاويهْ   فبايعوا لنجلهِ معاويهْ (١)
فتمَّ فيها اربعين يوماً   وعام في بحر المنون عوماً

(عبد الله بن الزبير)

وبالحجاز والعراق بايعوا   لابن الزبير بعدهُ وشايعوا
وكان سيدًا رزين العقل   سيرتهُ سيرة اهل العدلِ
عشر سنين ثم جا الحجاج   في عسكرٍ جمٍّ لهُ عجاجُ
حاربهُ بمكةٍ وقتله   ونقض الحبل الذي قد فتلهْ (٢)

(مروان بن الحكم)

فبايعوا من بعدهِ مروانا   بالشام اذ اضحوا لهُ اعوانا
فتمَّ فيها تسعةً من الشهورْ   وباد فيمن قد ابادتهُ الدهورْ

(عبد الملك بن مروان)

ثم تولاَّها ابنهُ عبد الملك   وسار في طرق الهلاك وسلك(٣)

(١) استخلف معاوية ابنهُ بعهد من ابيهِ في ربيع الاول سنة اربع وستين (٦٨٤ م) .. ولما استخلف كان مريضاً فاستمر مريضاً الى ان مات ... وكانت مدة خلافتهِ اربعين يوماً وقيل شهرين وقيل ثلاثة اشهر ومات ولهُ احدى وعشرون سنة ولما احتضر قيل لهُ الا تستخلف قال ما اصبتُ من حلاوتها فلمَ اتحمل مرارتها (تاريخ الخلفاء للسيوطي) ((٢)) استمر ابن الزبير بمكة خليفة الى ان تغلب عبد الملك فجهز لقتالهِ الحجاج في اربعين الفاً فحاصرهُ بمكة اشهرًا ورمى عليهِ بالمجنيق وخذل ابن الزبير اصحابهُ وتسللوا الى الحجاج فظفر بهِ وقتلهُ وصلبهُ وذلك يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الاولى وقيل الاخرة سنة ثلاث وسبعين (٣) لا يعد مروان في امراء المؤمنين لانهُ خرج على ابن الزبير وقد غلب على الشام ثم مصر واستمر الى ان مات سنة ٦٥ (٦٨٤ م)

فتمَّ في الملك الذي قد انقضى عشرين عاماً ثم خلّى ومضى (١)

(الوليد بن يزيد بن عبد الملك)

ثم تولاَّها ابنهُ الوليدُ وهو مليك بأسهُ شديدُ
اقام تسعةً من الاعوام سحائب العزِّ لهُ هوامي
وتسعة من الشهور بعدها وانجزت لهُ المنون عهدها (٢)

(سليمان بن عبد الملك)

فقام بالامر سليمان اخوهْ وتمَّ في الملك على ما ورَّخوهْ
عامين كاملين ثم نصف عامْ وبعدها في لجة المنون عامْ

(عمر بن عبد العزيز)

ثم اقام الله منزل الزمر فيها الاشج العادل البرَّ عمر
ذا الطلعة البهيَّة الوضيَّهْ فسار فيها السيرة المرضيَّهْ
وتمَّ عامين بها ونصفا وطاب نعتاً في الورى ووصفا (٣)

(يزيد بن عبد الملك)

ثم مضى وذكرهُ حميدُ فقام فيها بعدهُ يزيدُ
فتمَّ عامين وعامين ومرْ وزال عنهُ ملكهُ وما استمرْ

(هشام بن عبد الملك)

ثم تولى بعدهُ هشامُ فابتهجت مصر بهِ والشامُ

---

(١) اما عبد الملك بن مروان وان كان بويع بعهد من ابيهِ في خلافة ابن الزبير (سنة ٦٥) فلم تصح خلافتهُ الى ان قتل ابن الزبير سنة ٧٣ ومات سنة ٨٦ (٧٠٥ م) وهو اول من ضرب الدنانير وكتب عليها بالحرف الكوفي : لا اله الاَّ الله وحدهُ لا شريك لهُ

بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة كذا وفي سنة كذا

الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لهُ كفوًا احد

محمد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الذين كلهِ ولو كره المشركون

واقدم دينار معروف للامويين ضرب بدمشق سنة ٧٩ هجرية

(٢) ولي الوليد الخلافة بعهد من ابيهِ في شوال سنة ٨٦ (٧٠٥ م) ومات في سنة ٩٦ (٧١٤ م) وهو الذي بنى جامع دمشق الشهير وفي ايامهِ فتحت الفتوحات العظيمة كايام عمر بن الخطاب

(٣) ولد عمر بحلوان قرية بمصر وكان بوجههِ شجة ضربتهُ دابة في جبهتهِ وهو غلام . بويع بالخلافة بعهد من سليمان في صفر سنة ٩٩ (٧١٧) فمكث فيها سنتين وخمسة اشهر وقد عدل وردَّ المظالم وسنَّ السنن الحسنة

فتمَّ فيها نحو عشرين سنه   وذهبتْ كأنها كانت سنه [1]

(الوليد بن يزيد بن عبد الملك)

وقام بعــد موتهِ الوليدُ   ابن يزيد الظالمُ العنيدُ
فظهرت منهُ امورٌ شاعتْ   عنهُ بكل بلدةٍ وذاعت
فنقموا عليهِ قبح فعلهِ   وبادروا حينئذٍ بقتلهِ [2]

(يزيد بن الوليد)

وصرَّحوا قاطبةً بذمهِ   ثم تولى بعدهُ ابن عمهِ
وهو يزيد بن الوليد الناقصُ   وكان في ارزاقهم يحاصصُ
شحًّا فسموهُ بهذا الاسمِ   وصارفي الالقاب مثل الوسمِ
فتمَّ فيها آمرًا وناهيا   خمسة اشهرٍ وولى فانيا

(ابراهيم بن الوليد)

فقام ابراهيمُ فيما بعدَهُ   وهو اخوهُ ثمَّ حلَّ لحدَهُ
قتلاً بحدِّ الصارم المهنَّد   صارم مروان فتى محمَّد
فيا لهُ من ملك سقوهُ   كأس الردى ظلمًا وما ابقوهُ

(مروان بن محمد)

وغاب عند ذاك نجم سعدِه   وقام مروان بها من بعدهِ
فتمَّ خمس حجج وشهرا   وثلث شهر ثم ولى قهرا
ومات مقتولاً بسيف السفَّاح   وشمَّ كافور الحمام النفَّاح [3]

وذهبت دولتهم وزالت   واي حالٍ في الورى ماحالت
دانت لهم احدى وتسعين سنه   ثم انقضت كانها كانت سنه

---

(١) مات هشام في ربيع الاخر سنة ١٢٥ (٧٤٣ م)   (٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن الحكم ولد سنة ٩٠ فلما احتضر ابوهُ لم يمكنهُ ان يستخلفهُ لانهُ صبي فعقد لاخيهِ هشام وجعل هذا ولي العهد من بعد هشام • فتسلم الامر عند موت هشام في ربيع الاخر سنة ١٢٥ وقتل في جمادى الاخرة سنة ١٢٦ (٧٤٤ م)   (٣) لما خرج على مروان بنو العباس وعليهم عبد الله بن علي عم السفاح سار لحربهم فالتقى الجمعان بقرب الموصل فانكسر مروان فرجع الى الشام فتبعهُ عبد الله ففر مروان الى مصر فتبعهُ صالح اخو عبد الله فالتقيا بقرية بوصير فقتل مروان بها في ذي الحجة من سنة ١٢٧ (٧٤٤ م)

نوادر من لباب الآداب

في كتاب لباب الآداب امور كثيرة مذكورة في كتب الادب وفيهِ امور اخرى وقعت للمؤلف او حدثت في زمانهِ والغالب انهُ لم يذكرها احد غيرهُ كقصة بطريرك الاقباط التي نقلناها عنهُ في مقتطف ابريل . وها نحن موردون الآن حوادث اخرى حدثت في زمانهِ لاقصد الفكاهة بل للاستدلال على شيءٍ من احوال الناس في عصرهِ اي منذ نحو ثمانمئة سنة . وقد ذكر قبل الحادثة الاولى اسطورة مروية عن الاسكندر المقدوني قال

قال القاضي ابو القسم علي بن عبد المحسن بن علي التنوخي رحمهُ الله حدثني ابو الفرج الاصبهاني من حفظهِ قال قرأت في بعض اخبار الاوائل ان الاسكندر لما انتهى الى الصين ونازل ملكها اتاهُ حاجبهُ وقد مضى من الليل شطرهُ فقال لهُ رسول ملك الصين بالباب يستأذن عليك فقال ائذن لهُ . فلما دخل وقف بين يديهِ وسلم وقال ان رأى الملك ان يخليني فليفعل . فامر الاسكندر من بحضرتهِ بالانصراف وبقي حاجبهُ . فقال لهُ الرسول ان الذي جئت لهُ لا يحتمل ان يسمعهُ غيرك . فامر بتفتيشهِ ففتش فلم يوجد معهُ شيءٌ من السلاح فوضع الاسكندر بين يديهِ سيفاً مجرَّداً وقال لهُ قف مكانك وقل ما شئت ثم اخرج كل من كان عندهُ . فلما خلا المكان قال لهُ الرسول اني انا ملك الصين لا رسولهُ وقد حضرت اسألك عما تريدهُ فان كان مما يمكن الانقياد اليهِ على اصعب الوجوه اجبت اليهِ وغنيتُ انا وانت عن الحرب . فقال لهُ الاسكندر ما امنَّك مني . فقال علمي بانك رجل عاقل وانهُ ليس بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بدخلٍ وانك تعلم ان اهل الصين متى قتلتني لا يسلّمون اليك ملكهم ولم يمنعهم عدمهم اياي ان ينصبوا لانفسهم ملكاً غيري ثم تنسب انت الى غير الجميل وضد الحزم

فاطرق الاسكندر مفكرًا في مقالتهِ وعلم انهُ رجل عاقل ثم قال لهُ الذي اريد منك ارتفاع ملكك ثلاث سنين عاجلاً ونصف ارتفاعهِ في كل سنة . قال هل غير ذلك قال لا . قال اجبتك . قال فكيف يكون حالك حينئذٍ . قال اكون قتيل اول محارب واكلة اول مفترس . قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين كيف يكون حالك قال اصلح اذا لزمت مما تقدم ذكرهُ قال فان قنعت منك بارتفاع سنة واحدة . قال يكون ذلك مذهباً لجميع لذاتي . قال فان اقتصرت منك على السدس . قال يكون السدس موفرًا والباقي لجيشي واسباب الملك . قال قد اقتصرت على هذا . فشكرهُ وانصرف

فلما اصبح وطلعت الشمس اقبل جيش الصين حتى طبَّق الارض واحتاط بجيش الاسكندر حتى خافوا الهلكة وتواثب اصحابهُ فركبوا واستعدُّوا للحرب فبينا هم كذلك اذ ظهر ملك الصين وعليهِ التاج فلما رأى الاسكندر ترجَّل فقال لهُ الاسكندر اغدرت قال لا والله قال فما هذا الجيش قال اردت ان اعلمك اني لم اطعك عن قلة ولا من ضعف ولين ترى الجيش وما غاب عنك اكثر ولكني رأيت العالم الاثير مقبلاً عليك ممكناً لك فعلمتُ انهُ من حارب العالم الاثير غُلب فاردت طاعتهُ بطاعتك والذلة لامرهِ بالذلة لك. فقال الاسكندر ليس مثلك من يؤخذ منهُ شيءٌ فما رأيت بيني وبينك احداً يستحق التفضيل والوصف بالعقل غيرك وقد اعفيتك من جميع ما اردتهُ منك وانا منصرف عنك . فقال ملك الصين اما اذا فعلت ذاك فلست تخسر • فلما انصرف الاسكندر اتبعهُ ملك الصين من الهدايا والالطاف بضعف ما كان قرَّر معهُ

هذه الاسطورة موضوعة كما لا يخفى وهي ليست من التاريخ في شيءٍ وقد ذكرها المؤلف تمهيداً للقصة التالية • ويظهر لنا ان القصة التالية صحيحة ولو على وجه الاجمال وتستحق ان تحسب حادثة تاريخية الاَّ اذا قامت ادلة تنفيها وهي

جرى في مدتي ما يشاكل حديث الاسكندر وانا موردهُ وذلك ان الافرنج خذلهم الله لما خرجوا في سنة تسعين واربع مائة وفتحوا انطاكية وقهروا اهل الشام تداخلهم الطمع وحدثتهم نفوسهم بملك بغداد وبلاد الشرق فحشدوا وجمعوا وساروا يريدون البلاد وصاحب الموصل في ذلك الوقت جكرمش فجمع امراء التركمان الأُرتقيَّة ومن قدر عليهِ ولقيهم على الخابور فكسرهم واسر من تقدمهم الملك بغدوين الرويس وجوسلين وسيَّرهم الى قلعة جعبر الى عند الامير شهاب الدين مالك بن سالم واودعهم عندهُ وعاد من بقي من الافرنج الى بلادهم ومقدمهم ميمون صاحب انطاكية فركب في البحر وسار الى بلادهِ يستنجد بالافرنج ويحشد ويرجع فمات قبل ذلك ومات جكرمش صاحب الموصل واقطع السلطان الموصل جاولي سقاوي فعزم على الغزاة وتوجَّه الى الشام فوصل قلعة جعبر وطلب اسارى الافرنج الذين عند صاحبها فقال هم بحكمك قال اقطع عليهم مالاً يشترون بهِ انفسهم فتحدث معهم شهاب الدين وقرَّر عليهم مائة الف دينار وعرف جاولي بذلك فقال انفذلي جوسلين فلما حضر عندهُ قال قطعتم على انفسكم مائة الف دينار . قال نعم • قال تشتهي اهب لك عشرة آلاف دينار قال ما ينكر لمثلك ان يهب عشرة آلاف دينار • قال تشتهي ان اهب لك عشرين الف دينار قال ايصلح للملك مثلك ان يتلاهى بمثلي قال والله ما تلاهيت بك ولو اردت ان آخذ منك المال

ما ابصرتك ولا تحدثت معك . وانا اطلقكم واخلي لكم المال كلهُ بل لي حاجة تقضوها لي قال ما هي . قال صاحب انطاكية وصاحب حلب اعداي اريدكم تعينوني على قتالهم . وكان صاحب انطاكية دنكري وصاحب حلب الملك رضوان . فقال جوسلين نمضي ونجتمع فارسنا وراجلنا ونصلك نقاتل معك كل من قاتلك

فاطلقهم فمضوا وحشدوا وجمعوا ووصلوا الى خدمتهِ وسار هو وهم الى لقاء عسكر حلب وعسكر انطاكية حتى التقوا . فحدثني من حضر حربهم قال كان وقع السيوف بينهم يعني الافرنج كوقع الفوس في الحطب فكسرهم صاحب انطاكية فاما المسلمون فطار من سلم منهم واما الافرنج فاسر من فرسانهم جماعة كبيرة فجاؤوا الى عند دنكري صاحب انطاكية ثاني يوم اسرهم وقالوا لهُ اي شيء تريد تعمل بنا . قال احملكم الى انطاكية احبسكم . قالوا والله ما فينا من يتبعك ولا يجيء معك نحن عراة ما معنا ثياب ولا نفقة ولا فرش ننام فيها ولا معنا غلمان يخدموننا . قال واي شيء تعملون . قالوا تخلينا نمضي الى بيوتنا نعمل شغلنا ونجيء الى الحبس . قال امضوا فمضوا واحضروا غلمانهم ونفقاتهم وفرشهم ووصلوا الي عندهِ الى انطاكية فحبسهم الى حين تسهَّل خلاصهم

ومن النوادر التي قال اسامة انها حدثت في زمانهِ ما يأتي

كان بيننا وبين الاسمعيلية قتال في قلعة شيزر في سنة سبع وعشرين وخمس مائة لعملة عملوها علينا ملكوا بها حصن شيزر وجماعتنا في ظاهر البلد ركّاب والشيخ العالم ابو عبد الله محمد بن يوسف بن المنيرة رحمهُ الله في دار والدي يعلّم اخوتي رحمهم الله فلما وقع الصياح في الحصن تراكضنا وصعدنا في الجبال والشيخ ابو عبد الله قد مضى الى دارهِ الى الجامع وكانت دارهُ في الجامع فوصل عمي فخر الدين ابو كامل شافع بن علي رحمهُ الله الى تحت الجامع والشيخ ابو عبد الله مشرف عليهِ فقال لهُ صاحب لعمي يا شيخ ابا عبد الله دلّ لنا حبلاً قال ما عندي حبل قال فدلِّ عمامتك فابطأ عليهِ فتجاوزهُ وطلع من مكان آخر فقيل للشيخ ابي عبد الله كنت عريان وعلى رأسك عمامة قال لا ما كان عليّ عمامة ثم افكر فقال بلى والله قد قال لي وهب بن التنوخي وهو مع الامير فخر الدين ابي كامل شافع دلّ لنا حبلاً قلت ما عندي حبل فقال دلّ لنا عمامتك ولو لم يكن قد رأى عليّ عمامة ما قال ذلك . فكان رحمهُ الله عريان وعليهِ عمامة ولا يدري بالحال التي هو عليها لرعبهِ وضعف قلبهِ

ومنها كان عندنا بشيزر رجل يقال لهُ محمد البشيبش كان يخدم جدي سديد الملك ابا الحسن علي بن نصر بن منقذ الكناني رحمهُ الله وكيلاً على ضيعهِ ببلد كفر طاب يقال لها

ارجه ادركتهُ وهو شيخ كبير وكان ابداً شجاعاً . قال جئت يوماً في الحر الى ركية ارجه لا شرب فرأيت رجلاً عليهِ معرفة امرأة وعلى كتفهِ كارة ثياب فداخلني الطمع فيهِ فقلت حط الكارة فاظهر لي خوفاً وقال ها يا مولاي وحطها عن كتفهِ فقدمت اليها لاخذها فمد يدهُ فقبض على ركبتي رفعني عن الارض ثم ضرب بي الارض وبرك عليَّ واخرج من وسطهِ سكيناً كشعلة النار ليقتلني فعلت الصنيعة فنهض عني وخلاَّني وقال لا تحتقر الرجال ثم فتح الكارة فاخرج منها قميصاً دفعهُ اليَّ

ومنها وشاهدت رجلاً من اجنادنا الاكراد ينعت بزهر الدولة بختيار القبرصي سمي بذلك لصغر خلقهِ وكان رحمهُ الله من خيار المسلمين في الشجاعة والدين وقد ظهر عندنا اسد فحمل عليهِ فاستقبلهُ الاسد فخاض بهِ الحصان فرماهُ فجاءهُ الاسد فرفع رجلهُ لقمها الاسد وبادرناهُ فقتلنا الاسد فقلنا لهُ يازهر الدولة ما معنى دفع رجلك الى الاسد قال رأيتها اكسى ما فيَّ في الران والساق والخف فقلت ان امسك اضلاعي كسرها وان مسك رأسي نخشهُ ليشتغل برجلي الى ان يفرج الله . فعجبنا من حضور فكرهِ في ذلك الوقت

وختم المؤلف باب الفراسة بقولهِ : قد اوردت في كتابي المترجم بكتاب الاعتبار عجائب ما باشرتهُ وحضرتهُ وشهدتهُ من الحروب والمضاقات والوقائع منذ كنت ابن خمس عشرة سنة الى ان تجاوزت التسعين وما نالني منها من الجراح والمكاره وانا القائل

الوم الردى كم خضتهُ متعرّضاً — لهُ وَهوَ عني معرضٌ يتجنَّبُ
وكم اخذت مني السيوف مآخذ — الحمام ولكن القضاء مغيَّبُ
الى ان تجاوزت الثمانين وانقضت — تلهنية العيش الذي فيهِ نرغبُ
فمكروه ما تخشى النفوس من الردى — الذُّ واحلى من حياتي واطيبُ

نقف الآن عند هذا الحد وفي النوادر التي نقلناها امور كثيرة حرية بالنظر من ذلك ذكرهُ كلمة الافرنج بهذا اللفظ الشائع الآن في مصر والشام فاستعمالها كذلك قديم ولا داعي للعدول عنهُ الى كلمة فرنج او فرنجة . ولم نرَ في ما لدينا من التواريخ اشارة الى قصة بغدوين ملك القدس وجوسلين صاحب تل باشر لكن ابا الفرج قال في تاريخهِ ان بغدوين مات في القدس ووصى ببلادهِ للقمص صاحب الرها وهو الذي كان اسرهُ جكرميش واطلقهُ سقاوو جاولي . وعليهِ فاسم الموصول راجع الى بغدوين لا الى القمص اذا كان مراد ابي الفرج الاشارة الى اسر بغدوين مع جوسلين واطلاق جاولي سقاوي لهما . وجاء في

تاريخ الصليبيين للسر جورج كوكس ان جوسلين اعان بلدوين البرجي حتى خلف الملك بلدوين الثاني فجعلهُ بلدوين البرجي اميرًا على الرها لكن جوسلين هذا أُسر اخيرًا سنة ٥٤٦ ومات اسيرًا فهل هو جوسلين عينهُ الذي أُسر اولاً سنة ٤٩٠ او ان اسامة لم يكن يدقق في ذكر السنين كما يظهر مما نقلناهُ عنهُ في الجزء الماضي حيث قال انهُ كان في مصر سنة ٥٤٧ في عهد الملك العادل مع ان الملك العادل خلف الملك الصالح سنة ٦٥٥

وكيفما كانت الحال فالقصة محتملة الصدق ولا بدَّ من انها كانت تروى في عهدهِ حتى تمثل بها وهي تماثل ما يرى عن اخلاق فرسان الصليبيين وشهامتهم وحفظهم للذمام وما كان جاريًا في ذلك العهد من استعانة امراء المسلمين بامراء الصليبيين وامراء الصليبيين بامراء المسلمين

ومنها اهتمام امراء المسلمين بتعليم اولادهم فقد كان ابو اسامة مستخدمًا شيخًا من كبار العلماء لتعليم اولادهِ وظهرت نتيجة تعليمهِ في تفوق اسامة في الانشاء نثرًا ونظمًا

ومنها ان ذلك الزمان كان زمان حروب متتابعة ولذلك كانوا يضطرون ان يقيموا في الحصون ويصعدوا اليها بالحبال

ومنها ان الاسود كانت لا تزال كثيرة في بلاد الشام او في اطرافها فذُكر هذا الاسد من غير استغراب وقد انقرضت الاسود منها الآن . وكتاب الاعتبار لاسامة طبع في لندن وباريس . وواضح مما ذكرهُ هنا انهُ الف كتاب لباب الاداب وعمرهُ اكثر من تسعين سنة فهو ثمرة يانعة من ثمار عقلهِ بعد ان حنكتهُ التجارب وراضتهُ الايام . وفي الكتاب ادلة كثيرة على انهُ لم يقرأهُ بنفسهِ بل قُرِئَ لهُ لانهُ وقعت في كتابتهِ اغلاط صرفية لا تقع في كتابة مَن كان مثلهُ او لا تقع تحت نظرهِ من غير ان يصلحها كبقاء آخر الناقص مجزومًا وذكر همزة التعدية حيث لا داعي لها وعدم ذكرها حيث هي لازمة كأَنَّ الكاتب قرأ ما كتبهُ صحيحًا فلم ينتبه اسامة الى ما بهِ من الخطإ . وفي الكتاب ادلَّة على ان الكاتب بيَّض مسودات كانت عند اسامة وخطها غير جلي لانهُ ترك بعض الاعلام الاعجمية ثم كتبها بقلم آخر وهو يقرأ الكتاب على المؤلف او اخطأ في كتابتها ثم اصلحها لما قرأ الكتاب . اما دعاء اسامة على الافرنج بقولهِ خذلهم الله فاقل مما كان يستعملهُ غيرهُ من كتَّاب عصرهِ

الشيخ ابرهيم اليازجي اللبناني

ولم يحمدوا من عالمٍ غير عاملٍ   خلاقًا ولا من عاملٍ غير عالمِ

ان بني اليازجي من اسرة حمصية الاصل نشأ من قدمائها كثير من الادباء استكتبهم ولاة عهدهم ولقبوهم باليازجي (كلمة تركية بمعنى الكاتب) وقد اظفرني الحظ ببعض مخطوطات ودواوين وزد فيها ذكر بعض متقدميهم مما نشرتهُ ملخصاً في كتابي (دواني القطوف) الذي كاد طبعهُ ينجز وسيقف عليهِ محبو المطالعة وزبدة ما هنالك ان هذه الاسرة عرفت بثلاثة بطون بنو اليازجي في حصن الاكراد ولبنان وبعض الجهات الأُخر وبنو فياض وباز في بيروت ومن اشهرهم في المعارف بيت العلامة الشيخ ناصيف اليازجي الذي نشأ من افرادهِ صاحب هذه الترجمة

هو ابرهيم بن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط بن سعد اليازجي الحمصي ولد في بيروت في ٢ اذار سنة ١٨٤٧ م في بيت كان عمادهُ اليازجي الاكبر نجعة الطلاب وشرعة الآداب مكبًا على التأليف والتصنيف ونظم القصائد والتواريخ الشعرية واجابة مراسليهِ من كبار ادباء عصرهِ في الشام والعراق ومصر وبعض مستشرقي الاوربيين وكثيرًا ما كان ذلك البيت مجمعًا لكبار مرسلي الافرنج وادباء بيروت ولبنان يختلفون اليهِ لاقتباس المعارف وتصحيح ما يكتبون من منظوم ومنثور الى غير ذلك مما انشأ في البنين رغبة في العلم والتحصيل فنشأ المترجم على آسال والدهِ وتلقى عليهِ اللغة العربية وعكف على المطالعة فبرع فيها على حد قول ابن شقيقتهِ الشيخ نجيب الحداد

ورث العلوم وزادها من عندهِ   كالمال زيد عليهِ من أرباحهِ

فنبغ في المنثور والمنظوم والآداب وهو بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من سنيهِ ونظم بعض القصائد وكان يختلف الى مطبعة الاميركان في بيروت ايام كان والدهُ يصحح مطبوعاتها فولع بمعرفة تركيب آلاتها والوقوف على حروفها ونقوشها ونحو ذلك فشبت فيهِ رغبة في الصناعة وكان شقيقهُ المرحوم الشيخ نصار متقنًا لصناعة الصياغة وكثيرًا ما يساعدهُ في بعض النقوش فمال الى اتقان الحفر وصنع الحروف وتأنق في اجادة الرسم والخط فاصبحت حياتهُ اشبه بمثلث ملأت اعمالهُ فراغهُ وكادت اضلاعهُ تكون متساوية لحرصهِ على اتقان كل ما يرغب فيهِ ونقطهُ الثلاث هي النظم والنثر والتفنن (معرفة الفنون الجميلة) فمن هذه النقط

الثلاث اشتهر المترجم بانهُ ناظم وناثر ومتفنن (Artiste) وعليها نبني الآن ترجمتهُ المثلثة الدعائم

نشأ المترجم شاعرًا لان والدهُ كان من كبار الشعراء وكثيرًا ما قرأ مدائح شعراء عصرهِ لهُ وشاهد شقيقهُ المرحوم الشيخ حبيب وشقيقتهُ الشاعرة الناثرة السيدة وردة ولوعين بهِ يعرضان قصائدهما على عماد البيت ومجمع اشعتهِ العلمية فنظم في صباهُ منظومات رشيقة اهمها قصيدة بقيت في زوايا الكتمان نظمها على ما نظن في اوائل سنة ١٨٦٩ م وتلاها في احد المنتديات ننشرها برمتها لندرتها

برأيك لذ إذا عزَّ النصيرُ ... ولا يبعث بهمتكَ الفتورُ
وأسهر في ظلام الليل جفنًا ... لهُ من فكرهِ قمرٌ منيرُ
ولا تكل الامور الى بنانٍ ... تكون لغيرها تلك الامورُ
فأصدق من سعى لك انت في ما ... تحاولهُ وانت بهِ جديرُ
وقد تُلقى الامورُ الى غيورٍ ... ولكن ربما سئم الغيورُ
أتمَّ مناك ما تسعى اليهِ ... بنفسك عامدًا لا تستعيرُ
تناولت البدورُ ضياء شمسٍ ... فلم تسلم من الظلم البدورُ
ولسنا الجاحدين لفضل قومٍ ... لهم ما بيننا فضلٌ شهيرُ
رجالٌ احسنوا صنعًا ولكن ... بما في البيت صاحبهُ خبيرُ
اذا مضت الحياة على رقادٍ ... تشابهت المضاجع والقبورُ
اذا سهل الطريق امام ماشٍ ... فليس يصدهُ الَّا القصورُ
اذا صدقت بما تبغي النوايا ... فليس لاهلها باعٌ قصيرُ
فقم بالامر عن قلبٍ سليمٍ ... يعاضد صدقهُ العزمُ الجسورُ
ولا تذهب بك الاهواء يومًا ... فراكب سبلها غاوٍ عثورُ
اراانا باللسان قد اشتبهنا ... وما يجدي اذا اختلف الضميرُ
لكل الطير اجنحة وريشٌ ... ولكن بينها ما لا يطيرُ
وان الحق بين الناس شمسٌ ... على أفق العقول لها ظهورُ
فمنهُ لأكبد الجهلاء نارٌ ... ومنهُ لاعين العقلاء نورُ
أَلسنا في رعاية من تحلت ... بذكرهم الصحائف والعصورُ
وابدوا في المعارف كل شمسٍ ... يزان بحسن بهجتها الاثيرُ
أينشئُ من تقدمنا المعالي ... فان بلغت ايادينا تبورُ

كأني بالبلاد تنوح حزناً وقد أودى بعظمتها الثبورُ
يحنُّ الارز في لبنان شجواً وتندب بعد ذاك العزّ صورُ
وتدمرُ في دمارٍ مستمرٍ وما سكانها الاّ النسورُ
واضحت بعلبك وليس فيها سوى خربٍ لعظمتها تشيرُ
فلو درت البلاد بما عراها لكادت من تلهفها تمورُ
بكم وبسعيكم تبنى المعالي وينمو روضها الزاهي النضيرُ
فانكم لها اهلٌ وإلاّ فليس لها بغيركمُ نصيرُ
فجدوا واصبروا في كل خطبٍ فليس بفائزٍ الاّ الصبورُ
وظلُّ الدولة العظمى علينا تقارنهُ السعادة والسرورُ
فذلك فوق دوح العدل غيثٌ وذاك حول روض العلم سورُ

ومن قديم منظومهِ مرثية الشيخ عبد الباقي العمري(١) شاعر العراق الشهير التي قال في مطلعها

ارى الموت صاح لا يزيغ لهُ فكرُ ونحن نشاوى قد تملكنا السكرُ
سكرنا بدنيانا التي تسكر النهى بكاسٍ لها سكرٌ وليس لها خمرُ

ومنهُ في مدح المغفور لهُ نصري فرنكو باشا لما تقلد منصب المتصرفية اللبنانية سنة ١٨٦٨ م بقصيدة مشهورة مطلعها

نسائم نجد هل تحملتِ من نجدِ اليَّ سوى حرّ الصبابة والوجدِ

ومن رشيق غزلياتهِ قولهُ من قصيدة

ما مرَّ ذكرك خاطراً في خاطري الاّ استباح الشوق هتك سرائري
وتصبَّبت وجداً عليك نواظرٌ باتت بليلٍ من جفائك ساهرِ

ومن بديع ابياتها قولهُ

كن كيف شئت تجد محبك مثلما تهوى على الحالين غير مغايرِ
صبري عليك بما اردت مطاوعٌ أبداً ولكن عنك لست بصابرِ

(١) لما انتهت هذه المرثية الى بغداد مع مرثية والد المترجم في الشيخ عبد الباقي التي مطلعها :

ارى فتنة الدنيا هي الآية الكبرى يضلُّ بها الهادي فيلهو عن الاخرى

كتب اليها ولد المرثي هذين البيتين :

أبيتما لابيتما سيداً نحن الى تأبينه نحنو
لولم تكن قدسية روحهُ لما رثاهُ الآب والابن

ومن قصيدة اخرى في الوداع

وداعٌ وما يغني الوداع من الوجدِ — ولكنهُ زادُ المشوق على البعدِ (١)
وما هي الا وقفة عند فائتٍ — تمازج فيها مظعما الصاب والشهدِ

ومن رشيق ابياتها قولهُ

تمتع أُبَيْل الظعن من روضها الندي — ومن عرفها الشافي ومن مائها العدّ
فعما قليلٍ انت في متن سابحٍ — توقَّلُ في هضبٍ وتهبط في وهدِ
ورب يسير يحسب الحظ كلهُ — اذا لم تجد فيهِ سبيلاً الى الردّ

ومن زهريَّاتهِ ما انشدهُ في المدرسة البطريركية الكاثوليكية بحفلة سنة ١٨٧٠ م من قصيدة

قام الهزار على الأراكة خاطبا — لحنا الزهور مفارقًا ومناكبا
ودعا يسبح باسم خالقنا الذي — جعل المياه لهنَّ قوتًا لازبا
وهو الذي بعث المياه مسخَّرًا — هوج الرياح لكي تثير سحائبا
فاذا انقضى ماء الغمام بجوّهِ — أجرى لهنَّ من الجماد مشاربا
زجر الصخور برعدهِ فتصدَّعت — رهبًا فاخرجت اللجين الذائبا
حتى سُقينَ بهِ فعاد زمرُّدًا — بجمال نضرتهِ كسينَ جلابيا
سبحان من شمل الجميع بجودهِ — كرمًا فلم يترك لديهِ خائبا

ومن قصيدة في مدح السلطان عبد العزيز

على مثل هذا المجد ينعقد الفخرُ — فما كلُّ بادٍ تحت ذيل الدجى بدرُ

وختمها بقولهِ

يحق على الافلاك جمع نجومها — فيكتَبُ منها في مدائحهِ سفرُ

وقال يرثي الطبيب يوسف الجلخ سنة ١٨٦٩ من قصيدة وكان صديقًا حميمًا لهُ

جهد الحزين اذا صرف القضا نزلا — ان يجتزي من حشاهُ بالذي فعلا
ويبتلي مقلتيهِ بالبكا وكفى — بمن بكى قبلنا ناهٍ لو امتثلا
سلا المحبون بعد اليأس فاتخذوا — تلك الشجون الى سلوانهم سبلا
قد اوجد الفقد حزنًا للفتى فبكى — واوجب الحزن صبرًا بعدهُ فسلا
استغفر الله ما دمعي بممتسكٍ — ولا فؤادي عن الاشجان مشتغلا

(١) عارض بهذا البيت قول والدهِ من قصيدة :

سلام وما يغني السلامُ على البعدِ — ولكنهُ اولى بتذكرة العهدِ

ولا يطاوعني صبري فآلفهُ على الذي بي ولو طاوعتهُ عدلا

الى ان قال :

في ذمة الله من عندي لهُ ذمم في الحبّ ليس يفيها مدمع هطلا
لقد ترحَّل عن عيني واودعها شخصاً يلوح خيالاً ليس مرتحلا
فظلَّ يوسعها شجواً وتوسعهُ غسلاً بعارض دمعٍ فوقهُ انهملا

ومن قصائدهِ المستطيرة الشهرة وصفهُ للزهرة في معظم تألقها وذلك في اثناء شهر فبراير (شباط) سنة ١٨٨٣ بمنظومة طويلة استرسل فيها الى المقابلة بينها و بين الارض ونشر مقتطفها في الضياء ١ : ٢٣٢ مطلعها

قف بي نحيي رباها ايها الحادي فتلك ابياتها في عدوة الوادي
قد خيَّمت باللوى الغربيّ ضاربة عليهِ اطنابها من غير اوتادِ
تمشي الهوينى كما مرَّ النسيم ضحًى في هودج من شعاع النور وقَّادِ
يحجب البعدُ سيماها فان قربت صدَّت دلالاً فزادت غلَّة الصادي
يسارق الطرف عين الشمس منظرها فالشمس من دونها حلَّت بمرصادِ
حتى اذا هجعت في ليلها ظفرت منها العيونُ بلمح الميسم البادي

ومنها :

يا ليت شعريَ هل تدرين موضعنا وهل لديكِ رجال اهل ارصادِ
وهل رأوا ركبنا النوريَّ منطلقاً في ليلهم بين تصويبٍ واصعادِ
وهل اقاموا لنا مثل الذي رفعت آباؤُنا لكِ من تكريم عبَّادِ
فذي هياكلكِ الشماءُ قد شخصت هاماتها في الذرى امثال اطوادِ

ومن ذلك قولهُ يهنئُ سعادتلو نسيب بك جنبلاط بالرتبة الاولى سنة ١٨٨٤ م من قصيدة رشيقة قال فيها :

رعى الله مغنًى بالعُذَيب ومعهدا غنمنا بهِ الاوطار مثنًى وموحدا
مرابع آرامٍ وردنا بها المنى على حين لم يطرق لنا الدهر موردا
نغازل من غزلانها كل آنسٍ ونهصر من اغصانها كلَّ أملدا
ونرشف للافواه جاماً ممسَّكاً ونلثم للجامات ثغراً منضَّدا
أُويقات أعطاف الشبيبة غضة على نسمات اللهو مالت تأوُّدا
وقد غفلت عنا الخطوب بليلها وقدماً عهدنا حادث الدهر أرودا
أأحبابنا هل اورق الرندُ بعدنا وهل افرشتكم روضة البان مقعدا

وهل مرَّ للمشتاق ذكرٌ بحيكم فما زال ذكر الحيّ عندي مردَّدا
ليهنئكمُ أن طاعكم بعدنا الكرى فمذ بينكم لم نوطئ الجنب مرقدا
ولا زارنا الصبر الجميلُ فليتكم أمام النوى شاطرتمونا التجلُّدا

الى ان قال :

وما يعدم الانسان في الارض صحبة ولكنَّ بعض الصحب ادني الى العدى
فما اكثر الأُلاَّفَ في كل بلدةٍ واكثر قول الزور ممن تودَّدا

ومن مديحها قولهُ :

كريم تبدَّى من كرام مناصبٍ لذاك تسمَّى بالنسيب فما اعتدى
جميل الثنا يستغرق المدح وصفهُ كما استغرق الالفاظ احرف أبجدا
تناول ارث المجد قبل رضاعهِ وصاحب ترْب المجد طفلاً وامردا

ومن اواخر منظوماتهِ في سوريَّة قصيدة مدح بها صاحب السعادة المركيز موسى افندي فريج بتوجيه الرتبة الاولى السنيَّة اليهِ سنة ١٨٩٣ م قال منها :

أأحبابنا هل لذاك العهد تذكارُ يدني اليكم اذا لم تدننا الدارُ

ومن محاسنها تخلصهُ بقولهِ :

ايام نعشو الى ضوء الشمول وقد بدا لها تحت جنح الليل اسفارُ
صهباء تكسو الندامى من اشعتها كوجه موسى وقد ضاءت لهُ النارُ
مبارك الوجه صافي السرّ قد هبطت عليهِ من أُفق الرضوان أنوارُ
في طاعة الله ممساهُ ومصبحهُ ومنهُ للخير اعلان واسرارُ

ومن لطيف حكمها قولهُ

الفقر اجمل ثوب للئيم وان عاب الكريم وبعض الفقر ستارُ
وشرُّ ما امتاز قدر الاغبياء بهِ اذا غلت منهمُ بالفلس اسعارُ

ومن اوائل قصائده بعد انتقالهِ الى القطر المصري قولهُ في مدح سمو الخديوي الحالي عباس باشا من قصيدة :

زمان الحمى هل من معادٍ فنطمعا وغمسك اكباداً تذوب واضلعا
ويا منزل الاحباب هل فيك وقفة تجدّد تذكاري وان كان موجعا
ويا نسمات المنحنى كيف اهلهُ وهل طاب بعدي ذلك الحيُّ مرتعا

ثم انتقل الى الشكوى من الوطن وانقلاب حالتهِ العلمية وتخلص الى مدح الخديوي بقولهِ

تدرَّعتُ فيك الصبر حتى اذا عفا تخذت حمي العباس حصناً ومفزعا
همام تولى الأمر وهو على شفا فشيَّد من اركانهِ ما تضعضعا
تقلَّد اعباء الرئاسة امردًا وقد عرفتهُ قبل ذلك مرضعا
فكانت لهُ أُمًّا وكان لها أبًا غذتهُ وربَّاها وقد نشأا معا

ومن مقاطيعهِ البليغة قولهُ :

تعجب قوم من تأخر حالنا ولا عجبٌ من حالنا ان تأخرا
فمذ اصبحت اذنابنا وهي أرؤُسٌ غدونا بحكم الطبع نمشي الى الورا

وقال في صدر مقالة (البرَد) في مجلة الطبيب :

والنجم قد عمَّ المشيب رؤُوسهُ جزعًا وخرَّ على الصعيد طريحا
واقام لا يدري أبات مكفنًا فوق الثرى ام كان ذاك ضريحا

وقال في مقالة اخرى يصف الغمام الماطر

فحكي ما آزر رطبةً نشرت على متن العواصف وهي ترشح بالندى
وكأن ذاك القطر ذوب لآلئ سالت فاضحت في الغصون زمرُّدا

وقال في صورة شمسية :

ومصوَّر بالشمس وهو نظيرها اهدتهُ صورتها برسم مثالهِ
ولو ان شمساً صوَّرت بضيائها ما صوَّروهُ بغير نور جمالهِ

وقال وقد كتبهما على رسمهِ مضمناً :

هذا مثال من انطوت منهُ على الودّ الضمائرِ
يبدي لديك ظواهري "والله اعلم بالسرائر"

وقال يصف الحسن :

وقائل صف لنا ما الحسن قلت لهُ هذا الذي ليس للتعريف فيهِ يدُ
لا يجهل الحسن ما بين الورى احدٌ وليس يعلم منهم كنههُ احدُ
سرٌّ يلوح وراء الحسّ مرتسماً في النفس وهو عن الادراك منفردُ
لكن ترى العين منهُ شكل حاملهِ وانما حظها مما ترى الجسدُ

وكتب على احدى حنايا قلعة بعلبك بخطهِ الدقيق لما زارها

يا بعلبكّ غريبة الازمانِ والعهد والصنَّاع والبنيانِ

لم تبلك الايام في حدثانها الاَّ لتظهر قدرة الرحمانِ (١)

وقال في الساعة الدقَّاقة :

ومحصيةٍ اعمارنا كلما انقضت لنا ساعةٌ دقَّت لها جرس الحزنِ

فيا بنت هذا الدهر سرتِ مسيره فهل انت دون الناس منهُ على أمنِ

وقال في كريستوف كولمب مكتشف اميركا وقد نقشت بخطهِ الجميل في اول التقاريظ الآسوية وذلك في كتاب جمع التقاريظ بمعظم اللغات المشهورة طبع في ميلانو بايطالية :

ابقى خريستوف الشهير لنفسهِ ذكرًا على الايام ليس يبيدُ

رجلٌ لقد فتح البلاد بصبرهِ ولهُ من الهمم الجسام جنودُ

قد زادهذي الارض ارضاً مثلها ليديهِ أُلقي كنزها المرصودُ

برزت اليهِ من الغيوب كأَنها خلْق سوى الخلق القديم جديدُ

فكأَنهُ اذ حلَّ فيها آدمٌ وكأَنها فردوسهُ المعهودُ

وقال وقد نقشا على عود طربٍ وفيهما استخدامان بديعيان :

وعود صفا الندمانُ قدماً بظلّهِ وما برحت تصفو لديهِ المجالسُ

تعشَّقهُ طيرُ الأَراكة أَخضرًا وحنَّ عليهِ ريشهُ وهو يابسُ (٢)

ولهُ كثير من التواريخ الشعرية من اقدمها قولهُ في كتاب مفتاح المصباح للعلاَّمة بطرس البستاني سنة ١٨٦٢

هذا كتاب عظيم النفع قد قضيت في الصرف والنحو منهُ حاجة العربِ

---

(١) ومن لطيف المعارضات ما قالهُ الاستاذ ابرهيم افندي الحوراني لما وقف على هذين البيتين :

يا هيكلاً فيهِ العقول تحيرَّت يا معقلاً لمفرّق الاديانِ

لم تبقك الايام في حدثانها الاَّ لتظهر قدرة الانسانِ

فوفق بينهما المرحوم سليم بك نقلا بقولهِ :

يا بعلبك فريدة البلدانِ بعجائب البنيان والاتقانِ

قد انشأوكِ غريبة كي يعربوا عن قدرة الرحمان بالانسانِ

(٢) نظم في مثل هذا المعنى ابن سعيد القيرواني هذين البيتين :

سقى الله ارضاً انبتت عودك الذي زكت منهُ اغصانٌ وطابت مغارسُ

تغنى عليها الطير وهي رطيبةٌ وغنت عليها الناس والعود يابسُ

وتابعهُ شاعر آخر بقولهِ : وعود لهُ نوعان من لذة الغنا فبورك جانٍ يجتنيهِ وغارسُ

تغنت عليهِ وهو رطبٌ حمامةٌ وغنت عليهِ قينةٌ وهو يابسُ

ولكن اليازجي زاد عليها معنى الظل والريش والصفاء والحنين وزادهُ حسناً استخدامهُ البديعي في كل منها فضلاً عن رشاقة اللفظ ما يشهد بهِ كل ذي ذوق سليم

جلَت كما قال تاريخي مقاصدُهُ   فذاك مفتاح كنز العلم والأدبِ

وقوله في اجراء سبيل ماء اوصى به يوحنا الجمال قبل وفاته سنة ١٨٧٦ :

من مال يوحنا بن جمال جرى   هذا السبيل فصحَّ فيهِ ثوابهُ
فغدا لأصداف النواظر بهجةً   أرّخ وللظامين راق شرابهُ

ولهُ قصيدة تاريخية تحدَّى فيها طريقة شاكر الخلاوي وهي في مدح ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان وزع على اوائلها بيتين ضمنها ثمانية تواريخ لسنة ١٢٨٤ه (١٨٦٨م) وضمّن في كل بيت من القصيدة تاريخين هجريين لهذه السنة ومن انسبها قولهُ

افدي الدُّمى في مصون الحجب قد كسرت   الحاظها كلَّ قلبٍ من محبيها
كواعب ظلمت حورًا بجنتها   تفدى بنفسي فما ابهى تجليها

وقولهُ مؤرخاً ضريح المرحوم والده المتوفى سنة ١٨٧١ من ابيات

لو انصفتك النائبات لغيَّرت   عاداتها ووقتك حادثة الرَّدى
تتنزَّلُ الاملاك حولك بالرضى   ويجود فوقك باكيًا قطر الندى
وجميل حظك في الاعالي رحمة   أرخ وذكر في الصحائف خُلّدا

وقولهُ يؤرخ ضريح المرحوم مراد مسلّم من زحلة المتوفى سنة ١٨٨١ من ابيات :

وبكى ذوو الحاجات خير ذخيرةٍ   دفنت بها الايام اكرم جوهرِ
في تربة كتب المؤرخ فوقها   يا رمس قد حزت المراد فأبشرِ

وقولهُ يؤرخ ضريح الصحفي الشهير سليم بك نقلا اللبناني المتوفى سنة ١٨٩٢ من ابيات

ولقد مضى نحو البقاء فضمهُ   بجوار خالقهِ رضىً ونعيمُ
فاتيت بالتاريخ ألفظ قائلاً   قد حلَّ في دار السلام سليمُ

الى غير ذلك مما يدل على انهُ شاعر عصري جمع بين طريقتي المتقدمين والمتأخرين مع مراعاة الشاعرية العربية المحضة وتحدي اساليب البلغاء فعرف شعرُهُ "بنباهة اغراضهِ وسموّ معانيهِ والاكثار فيهِ من الصور الخيالية والتفنن في اساليب المجاز مع توخي الالفاظ الفصيحة والتراكيب البليغة التي لم تألفها العامة ولم تبتذل في استعمال الخاصة" وكأني بهِ انقطع عنهُ لكساد بضاعتهِ عندنا وتفرُّغًا الى ما هو اجدي نفعًا عملاً بقول المرحوم والدهِ :

وقد شقَّ نظم الشعر عندي لعلَّة   يشقُّ على قلبي الصبور جحودُها
من الشعر مدحٌ قلَّ من يستحقهُ   وصنعة هجوٍ لستُ ممن يريدها

(ستأتي البقية)

عيسى اسكندر المعلوف

الاشباه والنظائر

الضفدع معروفة لونها الغالب رمادي ضارب الى الخضرة كوحل المستنقعات التي تكون فيها ولكنها قد تكون خضراء زاهية اللون كالحشيش الاخضر الذي تكون بينهُ . ويظهر بادنى نظر انها تستفيد من اتخاذها اللون المماثل لما حولها حتى لا يهتدي اليها اعداؤُها . هذا هو التعليل الذي جرى عليهِ علماء الطبيعة حتى الآن وتراهم يعللون بهِ كل الاشباه والنظائر اي ان اشكال الحيوان تختلف وتتنوع من وقت الى آخر فالشكل الذي تكون منهُ فائدة إما بوقاية الحيوان او بتسهيل الاغتذاء عليهِ يكون ابقى من غيرهِ لان الحيوان المتصف بهِ لا يتعرَّض للهلكة مثل سواهُ فيصير اقوى على البقاء واخلاف النسل الى ان ترسخ تلك الصفة في نسلهِ بالوراثة . وبهذه القاعدة يفسَّر كثير من الظواهر الطبيعيَّة في الحيوان والنبات ولاسيما تمثُّل الحيوان بالنبات وتمثُّل النبات بالحيوان وتمثُّل غير السام من الحيوانات بالسام وتمثُّل السام بغير السام

دخلنا دار التاريخ الطبيعي ذات يوم في مدرسة جنيفا الجامعة فرأينا فيها غصن شجرة كبيرة بفروعهِ الكثيرة فظننا في اول الامر انهُ من الاشجار الغريبة ولذلك وضع في تلك الدار وجعلنا ننظر فيهِ لنرى وجه غرابتهِ فتجلَّى لنا بما يدهش الابصار . فاننا رأيناهُ مملوءًا بالفراش والديدان المختلفة في اشكال الاغصان والاوراق والازهار والاثمار ولا تفرقها عنها الَّا بعد تدقيق النظر وكلها ميتة ومصبَّرة

والذين يصطادون الحجل والسماني والقطا الكدري يعلمون انها كلها تختفي عن عين الصياد لمشابهتها ما حولها من الاتربة والحجارة والاعشاب اليابسة . هذا كلهُ مذكور في كتب العلم ومسلم بهِ ولكن يرى الباحث في الطبيعة مشابهات اخرى غريبة في بابها ولا يرى لها تعليلاً ولا تفسيرًا فزيز دود الحرير وزيز كثير من الديدان يشبه المومياء المصرية المقمطة حتى يكاد المرء يظن ان قدماء المصريين لفوا اجسام موتاهم وقمطوها حتى تشبه في شكلها الظاهر زيز الدود تفاؤُلاً برجوع الحياة اليها وتقمصها كما يتقمص الزيز فراشةً . فان كانت المشابهة بين الزيز والمومياء حادثة من قبَل الانسان لا من قبَل الديدان فقد ظهر سببها ولكن زيزان الديدان قد تتشكل بشكل رأس الانسان لا بشكل المومياء فيكون لها ما يشبه العينين والحاجبين والانف والفم وقد صوَّر بعضهم زيز دودة وهو مثل رأس القرد المعروف بالشمبانزي تماماً في شكلهِ وغضون وجههِ كما ترى في الشكل الاول على الصفحة التالية

واغرب من ذلك زيز نوع من الفراش فانهُ يشبه في شكلهِ وجه انسان شيخ اقنى الانف

الشكل الاول

طويل الحاجبين مكحول العينين رقيق الشفتين كما ترى في الشكل الثاني. ومن هذا القبيل

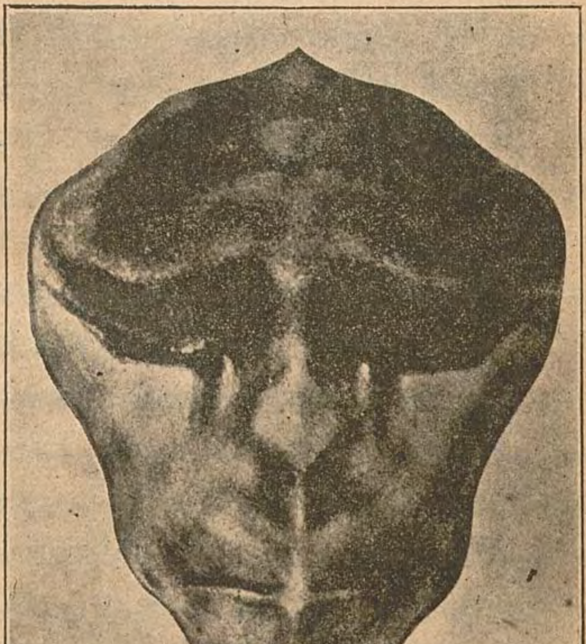

الشكل الثاني

نوع من السرطان يكثر في سواحل بلاد اليابان وعلى ظهرهِ شكل مثل شكل وجه الانسان

ويقول اليابانيون انهُ حدثت حرب بحرية دموية سنة ١١٨٤ للميلاد في المكان الذي يكثر فيهِ هذا السرطان قتل فيها خلق كثير منهم فتقمصت أرواحهم في اجسام السراطين ومن ثم صارت السراطين تولد وعلى ظهر كلٍّ منها وجه انسان . ولا يخفى فساد هذه الخرافة ولكن ظهور صورة الانسان على ظهر السرطان من الغرائب التي لا تعلَّل . وقد قال الاستاذ باشفورد دين من اساتذة مدرسة كولمبيا الجامعة ان شكل هذا الوجه مثل شكل وجوه المشارقة وهو اشبه بوجوه الصينيين والكوريين منهُ بوجوه اليابانيين الحاليين او هو مثل وجه شاب غرق فورم انفهُ وانفتح شدقهُ اما نحن فاننا رأينا صورة هذا الوجه فلم نرَ فيها مشابهة كبيرة لصورة وجه الانسان ولعلها قريبة من صورة الهر

ووجدت في اغرا ببلاد الهند جمجمة معزاة تشبه في شكلها وجه القرد الهندي الذي يكثر في تلك البلاد مع ما حولهُ من الشعر . ولا يخفى انهُ يظهر على بزور البطيخ واللوبياء احياناً كثيرة خطوط سوداء وبيضاء كأنها كتابة عربية او هيروغليفية والمشابهة بينها وبين الكتابة قريبة جدًّا حتى كنا نحاول احياناً قراءتها فما هو سببها وكيف تكوَّنت ولماذا اتخذت هذه الاشكال دون غيرها . هذه المسائل وامثالها من الغوامض التي يتعذَّر حلها بما لدينا من القواعد العلميَّة

ووجدت عظمة من عظام اذن الحوت ملقاةً على الساحل في بلاد نروج وهي تشبه وجه الانسان اذا نُظر اليهِ عن جانب وانفهُ اخنس وذقنهُ قصيرة مرتدة الى الوراء

وكثيرًا ما ترى سمكاً نهريًّا رأسهُ يشبه رأس الهر او ترى فراشاً على جناحيهِ صور عيون وحواجب كأنها عيون الانسان او غيرهِ من الحيوان . ومشابهة جذر اللفَّاح لساقي الانسان وجذعهِ معروفة . ولا يُنكر ان الحنالين يهذبون هذا الجذر حتى تزيد مشابهتهُ ولكنهُ قد لا يخلو من المشابهة قبل التهذيب . ومشابهة بعض الحيوانات البحرية للنباتات ومشابهة النباتات للحيوانات معروفة مشهورة وامثلتها تفوق الاحصاء

وخلاصة المقال ان تمثُّل الحيوانات بعضها ببعض وبالنباتات وتمثل النباتات بعضها ببعض وبالحيوانات نافع لها وقد رسخ فيها بسبب نفعهِ لها ولكن ما كل تماثل نافع والامثلة التي ذكرناها لا يعرف سببها ولا نفعها

الولايات المتحدة واليابان

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى   حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

لما كان رجال الخيال يهتمون بعقد مؤتمر السلم قصد ابطال الحرب كان رجال الحقيقة يبنون البوارج و يسبكون المدافع قصد ابطال الحرب ايضاً

وكلٌّ يدَّعي وجداً بليلى   وليلى لا تقرُّ لهُ بذاكا

وانفضَّ المؤتمر بعد ان وضع قواعد الحرب لا قواعد السلم وعادت مجالس النواب في انكلترا والمانيا وفرنسا وروسيا واميركا تتبارى في النفقات الحربيَّة ناظرة من طرف خفي الى تلك الدولة الشرقية التي بزغت من الشرق الاقصى كما تبزغ الشمس فبهر نورها عيون الاوربيين والاميركيين.

لما قارب العام الماضي الختام كانت الاشاعات قد ملأَت الاقطار عن حرب يهتز لها الثقلان تنشب بين اميركا واليابان . وكُذبت الاشاعات وحُققت مراراً وسار الاسطول الاميركي الى الشرق الاقصى ليراهُ اليابانيون و يعتبروا فلا يغتروا بانفسهم او ليختبر سير البحر فلا يغتر بهِ اصحابهُ قبل ان يجربوهُ . ذهب وعاد ولم تنفَ المخاوف بل زادت رسوخاً وجاء الآن رجل من رجال البحرية الاميركية بمقالة ضافية في مجلة الكوسموبولتن الاميركية وهو من الثقات الذين يؤخذ بقولهم و يعوَّل على رأيهم فبيَّن استعداد اليابان لهذه الحرب ورجَّح وقوعها في القريب العاجل وهاك خلاصة ما قالهُ في هذا الصدد

ان ذهاب الاسطول الاميركي من الاوقيانوس الاتلنتيكي الى الاوقيانوس الباسيفيكي اي من شرقي الولايات المتحدة الى غربيها اذهل ممالك العالم لان هذه هي اول مرة وقف فيها الشعب الابيض والشعب الاصفر احدهما حيال الآخر ونظرا الى امر لهُ الشأن الاكبر في مصالح الامم كيف لا وقد اضطرت اميركا ان تترك سواحلها الشرقية عرضة لهجوم الدول الاوربيَّة وتجمع قواها الحربيَّة على سواحلها الغربيَّة خوفاً من تلك الدولة الشرقية المقابلة لها على الجهة الاخرى من الاوقيانوس الباسيفيكي فان علائقنا مع الدول الاوربيَّة لم تتغير قط ولكن علاقتنا مع الدولة الاسيوية اي دولة اليابان ليست على ما يرام . لم تزد مخاطرنا في الاوقيانوس الشرقي عما كانت عليهِ ولكن مخاوفنا في الاوقيانوس الغربي قد زادت كثيراً ولذلك اضطر رئيسنا ورجال حكومتنا ان يراعوا مقتضيات الحال و ينقلوا اسطولنا من الشرق الى الغرب

مضى على اليابان عشرون سنة وهي تبذل اقصى جهدها في الانتفاع بكل مكتشفات الامم الغربيَّة ولذلك فهي قابضة الآن على نتائج العلم والعرفان وقد فاقت بذلك كل دولة من دول اوربا واميركا . فان الدولة من هذه الدول بنت اساطيلها وعبأَت جنودها على حسب ما دلها علمها واختبارها جامعة بين الغث والسمين والفاضل والمفضول واما اليابان فاختارت الاصلح من كل شيءٍ . خرجت من فيافي الهمجيَّة ودخلت رياض العمران من باب الحرب . خرجت من معامع الحروب الاهلية التي خرجت منها اوربا في القرون الوسطى ولم يدخلها الشعب الاميركي قط فرجالها رجال حرب محنكون لم ينسوا ما شبُّوا عليهِ وشابوا وجاءتهم العلوم الحديثة فزادتهم خبرةً ودربةً ثم نشبت الحرب بينهم وبين الروس فقرنوا العلم بالعمل وزادوا جرأَة وحنكة واذا لم تقاومهم دولة اقوى منهم تكبح جماحهم وتزيل برقع الخيلاء عن عيونهم فلا يعلم الَّا الله ما تكون عاقبة امرهم . وهذه الدولة هي الولايات المتحدة فعليها ان تسبر غور اليابان وتعلم مقدار قوتها وتقابلها بقوة اعظم منها والَّا فلا شيءَ يضمن حفظ السلم واستتباب الامن والعدل في الدنيا

واليابانيون امة عظيمة كانت تعدُّ من الامم الهمجية فاثبتت قوتها في ساحة القتال وخرجت منها ظافرة باكبر دولة برية من دول اوربا ولم تكد تفتح عينيها وترانا حتى وجدت اننا غير قادرين على حفظ حقوقنا وهي مجاورة لنا وقد تقضي عليها مصالحها ان تكون معنا على صداقة تامَّة او على عداء تام

ان قوة الامة حاصلة من مجموع قوات رجالها القادرين على النزول الى ساحة القتال ومن مقدار ما عندهم من الاهبة لذلك وما لديهم من وسائل الهجوم والدفاع

وسكان اليابان خمسون مليوناً من النفوس فهم اكثر من سكان انكلترا او فرنسا او النمسا ولا يفوقهم عدداً الَّا سكان روسيا وسكان المانيا واميركا . ويستطيع اليابانيون ان يعتمدوا على الصينيين ويستعينوا بهم وهم اربع مئة وخمسون مليوناً من النفوس فهم وسكان الصين اكثر من كل سكان اوربا واميركا معاً وفوق ذلك فاليابانيون اميل الى الحروب من سكان اوربا واميركا لقرب عهدهم بها ولانهم خرجوا منها ظافرين . وهم اقبل من اهالي اوربا لحمل الضرائب الثقيلة من غير تذمر ونساؤُهم يعملنَ كل الاعمال ما دام رجالهم في ساحة القتال . ونفقات جنودهم اقل من نفقات الجنود الاوربية والاميركية

وقد اصطلح الناس على مقياس تقاس بهِ مقدرة الانسان الحربية . وبموجب هذا المقياس يكون الجندي الياباني اقدر على الحرب من الجندي الاوربي والاميركي وهو مثل

افضل الجنود الاوربية شجاعة ومهارة و يفوقهم في تجشُّم المشاق والخضوع لاوامر القواد

ودرجة الاستعداد للحرب واطئة في اميركا وعالية في الممالك الاوربية الراقية واعلى منها في اليابان فانها تبتدئ هناك في المدارس وتدوم مدى العمر . ولقد اظهر اليابانيون من الاستعداد التام للحرب في معاركهم مع الروس ما ادهش العالم كلهُ فان اخلاق الياباني وصبرهُ وتدقيقهُ وثباتهُ تجعلهُ اتم آلة حيَّة للقتال وقد ثبت الآن ان الرجل الاصفر يفوق الابيض في البر ويماثلهُ في البحر وثبت لي بالاختبار ان الجندي الصيني اصلح من الجندي الياباني فانهُ مثلهُ عقلاً واقوى منهُ جسماً واكثر شجاعةً وصبرًا ولا يخاف الردى . ويجب ان لا نغفل عن ذلك طرفة عين لان اليابانيين قد اخذوا يعلّمون الصينيين فنون القتال واذا نشبت حرب مع اليابان فلا بدَّ من استنجادها بجنود الصين

واليابانيون امهر الناس في تجسُّس الاخبار وعلم ما عند غيرهم من المعدات الحربيَّة كما انهم من امهر الناس في اخفاء مقاصدهم وما عندهم من الاستعداد للحرب . ولقد عرفوا كل ما هو جارٍ في اميركا ولم يسمحوا لاحد ان يعرف شيئًا عمَّا هو جارٍ في بلادهم . فكل ما عرف عن استعدادهم الذي استعدوهُ منذ سنتين ونصف سنة الى الآن ليس نصف استعدادهم الحقيقي وهو مع ذلك كافٍ لان يجعلنا نقف وقفة الخوف والدهشة وننهض نهضة واحدة للقيام بما يجب علينا نحو انفسنا ونحو مبادىء الحرية التي ندافع عنها

لما وضعت الحرب اوزارها وتغلبت اليابان على الاسطول الذي كانت تخشاهُ وضمت جانبًا كبيرًا منهُ الى اسطولها ودعت الحال الى الاقتصاد التام بعد ان انفقت نفقات الحرب الباهظة وحُرمت من الغرامة الحربية كان المنتظر ان تستكنَّ برهةً ريثما تنتعش قواها قبل ان تقدم على نفقات جديدة ولكنها لم تستكن بل امرت بعمل بوارج جديدة لا تقل نفقاتها عن مئة مليون ريال مثل البارجة الانكليزية الكبرى المسماة دردنوت وطرادات مدرعة واخذت تبنيها بسرعة في بلادها وفي البلاد الانكليزيَّة

وبين اليابان وانكلترا معاهدة حربيَّة كما لا يخفى فهي لم تزد عمارتها البحرية خوفًا من المانيا او فرنسا او ايطاليا فلا يفسَّر عملها الاَّ بانها تريد التفوُّق على اميركا واميركا مستغرقة في سباتها . فعلت اليابان ذلك دفعةً واحدة ومجلسا النواب في اميركا ظلاَّ سنتين يبحثان و يتناظران و يتشاحنان قبل ان اقرا على بناء بارجة واحدة وزادت جمعيات السلم صياحها وصخبها

هذا وعندنا الآن ثماني عشرة بارجة وثمانية طرادات مدرعة والجملة ٢٦ سفينة حربية مدرعة وعند اليابانيين في الاوقيانوس الباسيفيكي الآن احدى عشرة بارجة واحد عشر

طرادًا مدرعًا والجملة ٢٢ من السفن الحربيَّة المدرعة ولكن في خمسة من الطرادات اليابانية مدافع كبيرة مما عياره ١٢ بوصة فهي اكبر من المدافع التي في طراداتنا. وطراداتهم هذه مثل بوارجنا وزد على ذلك فان اليابانيين يزيدون عمارتهم زيادة كبيرة كل سنة ففي سنة ١٩١٠ لا نكون قد زدنا عمارتنا سوى بارجتين واما اليابانيون فيكونون قد زادوا عمارتهم ثماني بوارج وثلاث طرادات مدرعة والبارجة من بوارجهم بمقام ثلاث بوارج من بوارجنا القديمة فلا تأتي سنة ١٩١٠ الاَّ ونسبة عمارتنا في الباسيفيكي الى عمارة اليابان كنسبة ٣٢ الى ٥٥ ولا نبلغ مبلغ اليابان الاَّ اذا بنينا حالاً ثماني بوارج كبيرة محمول كلٍّ منها عشرون طنًّا. ثم اننا اذا ساوينا اليابان لا نكون قد فعلنا شيئًا يذكر ولا نكون قد ضمنا سلامتنا بل لا بدَّ لنا من ان نفوقها حتى تضمن السلامة لنا واذا اقتصرنا على ذلك نكون قد تركنا سواحلنا الشرقية طعمة لكل طامع بنا

وفوق هذا فان اليابان زادت عدد جنودها وهي قادرة الآن ان ترسل الى ميدان القتال مليونًا ونصف مليون من الجنود المنظمين المدربين وزادت ايضًا معداتها الحربيَّة فمعاملها تشتغل نهارًا وليلاً في صنع البنادق والمدافع وسائر الاسلحة وعمل البارود والطوربيد وقد انشأت دورًا جديدة لبناء السفن الحربيَّة ولعمل كل آلاتها وادواتها هذا فضلاً عما اوصت عليهِ في معامل اوربا. اما الولايات المتحدة فليس عندها سوى ٦٩ الفًا من الجيش المنظم المتمرن و ١٤٠ الفًا من الذين يذهبون الى الحرب اذا دعت الضرورة واكثر الجيش المنظم موجود الآن في كوبا وجزائر فيلبين ولا يوجد منهُ داخل الولايات المتحدة سوى تسعة آلاف لا غير

ويظهر لي ان اليابان تستطيع ان تعبئ خمس مئة الف جندي وتوصلهم الى سواحل اميركا الغربيَّة في اربعة اشهر ومليونًا من الجنود في عشرة اشهر ونحن لا نستطيع ان نقاومهم باكثر من مئتي الف رجل من الرجال الذين تعلموا شيئًا من الفنون الحربية فيستحيل علينا والحالة هذه ان نقاوم اليابان برًّا ولا سبيل لنا الاَّ في مقاومتها بحرًا

وعند حكومة اليابان الآن اكثر من ستين مليون جنيه ذهبًا اكثرها مودع في بنوك اوربا تحت امرها وهي تكفي جنودها في ساحة القتال سنة من الزمان ولو بلغ عددهم مليون نفس فهي والحالة هذه مستعدة لطوارق الحدثان ومتحفزة للهجوم قبل الدفاع وقد صار من شعبها في جزائر هواي ثلاثون الفًا وتلك الجزائر في منتصف الطريق بين الولايات المتحدة وبلاد اليابان وبهم يشتد ازر بلادهم اذا المَّت الملمات

انتهى ما اردنا اثباتهُ من كلام الكاتب ومنهُ يظهر ان قوة اليابان الحربية لا تقل عن

قوة اعظم دولة من دول اوربا وان الصين سائرة في خطواتها واذا نجت من سموم الثورات الداخليَّة عشرين سنة صار الغرب يخشي سطوة الشرق كما يخشي الشرق الآن سطوة الغرب

اسباب الاحتلال البريطاني

(٣)

ان تمرُّد الجنود الذي مرَّ ذكرهُ في الجزء الماضي كان فاتحة الثورة العرابية . قال لورد كرومر ولو اكتفى اسمعيل باشا بما حازهُ من الفوز على وزارة نوبار باشا وعرف كيف يغتنم الفرص لبقي على سرير الخديويَّة المصريَّة الى حين وفاتهِ ولكنهُ كان يحسن التدبير في الامور الصغيرة ويخطئُ في الامور الكبيرة لانهُ لم يكن بعيد النظر في العواقب فكان يصيب في الجزئيات ويخطئُ في الكليات ولاسيما ما يتعلق منها بالسياسة الاوربية لانهُ كان يجهل بواطنها ولا يعرف منها غير القشور . فكان يعرف مثلاً ان عند الاوربيين مجالس يجتمع فيها نوَّابهم ويقرروا اموراً يضطر ملوكهم ان يخضعوا لها ويعملوا بها فرأى ان ينشئَ مجلس نواب مثلها ليقاوم الافرنج قائلاً ان هذه هي ارادة شعبي . ثم حسب ان الفرنسويين لا يهمهم الاَّ المسأَلة المالية فاذا ابتزَّ من الفلاحين مقداراً كافياً من المال ارضى الفرنسويين بهِ اما الانكليز فلهم شأن آخر . وهنا وصف لورد كرومر قومهُ وصف المنتقد المجرّح وقال انهم حاربوا نصف اوربا انتصاراً لاقوام حسبوهم مظلومين وهم يعتقدون ان مجالس النواب ومجالس القضاء التي يحكم فيها المحلَّفون وما اشبه هي الدواء الوحيد لكل الادواء التي تشكو منها الممالك في كل انحاء المسكونة وقد صرَّح وزيرهم الاكبر بامرستون لسفير اليونان انهُ يحق لكل امَّة ان تعصي ملكها ان لم يمنحها مجلس نواب . وكانوا ينقادون بسهولة الى مثل هذه الكلمات "ارادة الشعب" "الحكومة الدستورية" وما اشبه ولكنهم غلاظ الرقاب لا ينقادون بسهولة الى رجال حكومتهم ولا يصدقون المقيمين منهم في بلاد اجنبيَّة . والظاهر ان اسمعيل باشا كان يعلم ذلك كلهُ فقال في نفسهِ انهُ يمكن ان يسترضي الشعب الانكليزي بانشاء مجلس نواب في بلادهِ مثل مجلس نوابهم فمتى اجتمع هذا المجلس وجاهر اعضاؤُهُ بولائهم لهُ ورضائهم بحكومتهِ ورفضوا نسبة بلادهم الى الافلاس واستنبطوا طريقة لجمع المال وايفاء ربا الدين اثبتوا استغناءهم عن الوزراء الاوربيين واقنعوا انكلترا وفرنسا بكفاءتهم وبانهُ لا

سبيل لتعرُّض اوربا لامورهم. ومتى اتموا ما يطلبهُ منهم حلَّ المجلس لانهُ يصير في غنىً عنهُ فتعود السلطة اليهِ كما كانت قبلاً

ولا شبهة ان الرأي الذي ارتآهُ اسمعيل باشا رأي حكيم ولكن الاوربيين كانوا يعلمون اخلاقهُ و يعلمون ان الحكومة الدستورية على ضد طبعهِ فعلموا ان فعلهُ حيلة لا تجوز عليهم او ارتابوا في اخلاصهِ على الاقل واخبرهُ معتمد انكلترا ومعتمد فرنسا من قبَل دولتيهما انهما لا يسمحان لهُ ان يحدث اقل تغيير في اصول الحكومة السياسية والمالية التي قُررت اخيرًا وصادق هو عليها فاجابهما انهُ مقيم على كل العهود التي تعهَّد بها

وارادت انكلترا وفرنسا ان يعود نوبار باشا الى رئاسة النظار فقال الخديوي انهُ يخضع لارادتهما لانهُ لا يستطيع مقاومتهما ولكنهُ لا يتحمَّل مسؤُولية ما ينتج عن ذلك من الخلل والاضطراب . فاجابتهُ الحكومة الانكليزية انها لا تبرئهُ مما حدث قبلاً وانهُ اذا حدث امر آخر يماثلهُ فالعاقبة وخيمة عليهِ واذ قد تقرَّر ذلك فهو حر يختار للوزارة من يشاء

وحينئذٍ جرى البحث في نسبة الخديوي الى مجلس النظار وبعد اخذ وعطاء بين اسمعيل باشا ومعتمدي انكلترا وفرنسا قرَّ القرار على ما يأتي

(١) ان لا يحضر الخديوي جلسات مجلس النظار (٢) ان يعيَّن البرنس توفيق رئيسًا لمجلس النظار وكان وليًّا للعهد (٣) ان يكون للناظر الانكليزي والناظر الفرنسوي الحق ليرفضا اي امر استجسنا رفضهُ

وعرض هذا القرار على الخديوي فوافق عليهِ وشكر معتمدي انكلترا وفرنسا لانهما قبلا طلبهُ وهو عدم اعادة نوبار باشا الى الوزارة. وفي العاشر من شهر مارس سنة ١٨٧٩ عين البرنس توفيق رئيسًا للنظار واريد انتخاب بقية النظار فوقع الخلاف فقد كان رياض باشا ناظرًا للداخلية في وزارة نوبار باشا فاراد الخديوي ان ينقلهُ حينئذٍ الى نظارة الخارجية والحقانية فلم يوافقهُ الناظران الاوربيان على ذلك لانهما قالا ان غرض الخديوي من ذلك ان يعيد سلطتهُ على البلاد وهو لا يستطيع ان يعيدها ما دام رياض باشا ناظرًا للداخلية . ورأى معتمدا انكلترا وفرنسا انهُ ليس من العدل ان يكون الخديوي مسئولاً عما يجري في بلادهِ ولا تطلق يدهُ في اختيار نظارهِ. الَّا ان الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية عضدتا الناظرين الاوربيين وطلبتا من الخديوي ان يبقي رياض باشا ناظرًا للداخلية فرفض ذلك في اول الامر واصرَّ على رفضهِ شهرًا من الزمان واخيرًا رضي بتعيين رياض باشا ناظرًا للداخلية والحقانية

ولم تكن انكلترا ترغب في امتلاك مصر ولكنها لم تكن تسلّم بان تمتلكها دولة اخرى من الدول الاوربيَّة . وهذا كان شأنها بالنسبة الى مصر منذ عهد طويل ففي سنة ١٨٥٧ ارتأى الامبراطور نبوليون الثالث ان تأخذ فرنسا مراكش وانكلترا مصر وسردينيا تونس ولما عُرض رأيهُ على لورد بامرستون اجاب عليهِ كتابة بقولهِ "من المرجح ان بلداناً كثيرة يمكن ان تسوسها فرنسا وانكلترا وسردينيا احسن مما هي مسوسة الآن . . اما نحن فلا نريد القطر المصري ولا نريد لهُ الَّا ان يبقى جزءا من السلطنة العثمانية حتى لا يقع في يد دولة اوربيَّة . اننا نريد ان نتاجر مع القطر المصري ونمر فيهِ ولكننا لا نريد ان نتحمل اعباء حكومتهِ" . وبقيت سياسة انكلترا سنة ١٨٧٩ على ما كانت عليهِ حينما كتب لورد بامرستون هذه السطور ولكن تغيُّر الاحوال دعا الى تنويع سياستنا لانهُ لم يعد في الامكان ان نقف بعيداً ونغضي عن امور مصر الداخلية . والدولة الوحيدة التي تطمع في مصر من دول اوربا هي فرنسا وقد حاولت امتلاكها مرةً وكان يحتمل ان يدعوها اختلال الحكومة المصرية الى محاولة ذلك مرةً اخرى ولاسيما بعد ان زادت مصالحها المالية في القطر المصري وظهر منها انها ميَّالة لعضد اصحاب الديون . وهب انها لم تكن تنوي ضم مصر الى املاكها لكن الرأي العام فيها كان قادراً ان يمنعها عن سياسة العزلة فاذا لم ترد الحكومة الانكليزية ان تشارك الحكومة الفرنسوية فالحكومة الفرنسوية تستقلُّ بالعمل وحدها ولكن يستحيل ان يتم لها ما تريد وترضى انكلترا بهِ . وفرنسا ايضاً لم تكن ترضى ان تستقل انكلترا في شؤون مصر ولا كانت ترضى ان تزيد سلطة تركيا فيها لان ذلك مخالف للسياسة التي جرت عليها من قديم الزمان ولذلك كان من مصلحة الدولتين انكلترا وفرنسا ان لا تتفاقم الخطوب في مصر فتدعو الى تخاصمهما والسبيل الى عدم تفاقم الخطوب اشتراك الدولتين في اصلاح البلاد ولو بما يكفي لمنع ما يكره وقوعهُ بينهما حتى لا تصير المسألة المصرية مسألة اوربيَّة . هذه هي السياسة التي أُريدَ اتباعها ولكن الدولتين لم تكونا على وفاق تام في السبل المؤدية اليها فان اكثرهم فرنسا كان مصروفاً الى مصلحة المداينين واكثرهم انكلترا كان مصروفاً الى مصلحة الفلاحين غير ان هذا الخلاف لم يمنع الاتفاق على الغرض المقصود

واتفق رأي الجميع حينئذٍ على ان سبب سوء الادارة رجل واحد وهو الخديوي اسمعيل باشا ولكنهم اختلفوا في كيفية اصلاحها فاشار بعضهم بنزع السلطة من يدهِ حتى يصير صفراً وقال البعض انهُ يستحيل ان تصلح ادارة البلاد من غير مساعدتهِ ما دام في كرسي الخديويَّة ولذلك يجب الاستعانة بهِ بعد وضع قيود دستورية لهُ تجعلهُ يجري في الطريق

المطلوب من غير عنف ولا اكراه . وكان كل فريق من هذين الفريقين يظن انهُ على هدًى والفريق الآخر على ضلال . وكان الناظر الانكليزي السر رفرس ولسن من الفريق الاول والمعتمد الانكليزي لورد ڤيفيان من الفريق الثاني

قال لورد كرومر وكنت ارى هذا الاختلاف واسمع حجج الفريقين وانا اعتقد ان الاسلوبين لا يأتيان بالغرض المطلوب لان مواعيد اسمعيل باشا كانت كلاماً في كلام وهو لا يستطيع ان يغير ما طُبع عليهِ ولكن رأي لورد فيفيان اصلح لاسمعيل باشا لان فيهِ متسعاً لهُ للعمل بمواعيده . اما رأي السر رفرس ولسن فكان العمل بهِ ضرباً من المحال في تلك الاحوال

وهذا الاختلاف في الرأي بين لورد فيفيان والسر رفرس ولسن ضلل الحكومة الانكليزية فلم تدرِ ايهما تصوّب والظاهر ان رأي السر رفرس ولسن تغلَّب اخيراً فاستدعت لورد فيفيان وارسلت بدلاً منهُ السر فرنك لاسلس وامرتهُ ان يجري بالاتفاق مع السر رفرس ولسن

ولما تولّى البرنس توفيق رئاسة مجلس النظار كان عمرهُ ٢٧ سنة وكان شديد الرغبة في اصلاح الاحوال وظهر حينئذٍ كأن الخديوي عزم على مشاركة وزارتهِ في التغلب على المصاعب ولكنهُ لما رأى ان الغرض نزع كل سلطة من يدهِ استصعب ذلك لانهُ كان على ضد طبعهِ وحدث حينئذٍ ما ازاح الستار عن وجه الحقيقة فان قسط الدين المعقود سنة ١٨٦٤ ومبلغهُ ٢٤٠٠٠٠ جنيه كان ميعادهُ في اول ابريل سنة ١٨٧٩ ولم يكن في صندوق الدين في ٢٨ مارس سوى ١٩٦٠٠٠ جنيه . وكانت لجنة التحقيق مهتمة حينئذٍ بوضع نظام لتسوية الحالة المالية من مقتضاهُ الغاء قانون المقابلة والغاء ذلك القانون كان على غير رغبة كبار الممولين فرأى النظار واعضاء لجنة التحقيق ان يؤَخروا ايفاء القسط المستحق من اول ابريل الى اول مايو وكتبوا صورة امرٍ عالٍ وقدموهُ للخديوي ليوقعهُ فابى توقيعهُ حاسباً انهُ بمثابة اعلان الافلاس فغيروا لهُ بعض الكلمات واقنعوهُ بتوقيعهِ . ووجه الغرابة في ذلك انهُ كان يعلم عدم مقدرة حكومتهِ على ايفاء ما يطلب منها من ربا الديون فكيف يأنف من توقيع امرٍ مقتضاهُ تأخير ايفائها

ويتضح مما اوردهُ لورد كرومر ان اسمعيل باشا اراد ان يتخلص من الناظر الانكليزي والناظر الفرنسوي ومن رياض باشا فاقنع اعيان البلاد ان الوزارة تقصد الغاء قانون المقابلة فيقع الحيف عليهم لانهم يملكون اكثر الاطيان العشورية التي تستفيد من ذلك

القانون . وقيل لرياض باشا ان حياتهُ في خطر حتى يلجأ الى الاستعفاء . واخيرًا جمع الخديوي قناصل الدول الجنرالية واخبرهم ان البلاد في حالة اضطراب شديد وان اعيانها رفعوا اليهِ عريضة موقعة من كل طوائف الناس يعرضون فيها تدبيرًا جديدًا لحل المشاكل المالية و يطلبون ان يكون نظار الحكومة كلهم من الوطنيين المسئولين لمجلس النواب . فاستعفى البرنس توفيق اطاعة لارادة الامة وقال لهم شريف باشا انهُ يستحيل على الخديوي ان يقاوم ارادة الامة

فقال لهُ قنصل النمسا الجنرال هل يرهن هؤُلاء الاعيان اطيانهم ضمانًا للتدبير المالي الذي اقترحوهُ . فاجابهُ الخديوي انهُ يستحيل ان توجد ضمانة اقوى من ان البلاد كلها من الخديوي فنازلاً ترضي ان تتحمل اية خسارة كانت ولا تسلّم باهانة الافلاس

وأُعطي القناصل ثلاث لوائح الاولى من مجلس الاعيان فيها اعتراضات على اعمال مجلس النظار والثانية من نواب العلماء وكبار الموظفين للخديوي يعترضون فيها على المشروع الذي وضعهُ السر رفرس ولسن و يقولون ان دخل البلاد كافٍ لايفاء ديونها و يقدمون بدلاً منهُ مشروعًا آخر و يطلبون ان يكون مجلس النظار مستقلاً عن الخديوي ومسؤُولاً لمجلس النواب . والثالثة اسلوب وضعوهُ لتسوية الحالة المالية . فارسل القناصل هذه اللوائح الى دولهم وارسلوا معها نسخًا من تقرير لجنة التحقيق لكن البوسطة اوقفت هذه النسخ حتى لا تصل مع اللوائح . وكتب الخديوي الى السر رفرس ولسن والمسيو ده بلنير انهُ كلّف شريف باشا بتأليف وزارة جديدة جريًا على رغبة الامّة . وصدر الامر الى شريف باشا بتأليف وزارة اعضاؤُها كلهم مصريون حقيقيون (véritablement Egyptiens) فتأُلفت الوزارة وكان من اعضائها شاهين باشا وعمر باشا لطفي وقاوم اسمعيل دولتين من اعظم دول اوربا وطرد رجالهما من حكومتهِ ووقف في وجههما وكأن البلاد كلها معهُ ولو استطاع ان يوفي اقساط الديون في اوقاتها لما بقي لاحد سبيل عليهِ ولكن الاسلوب المالي الذي وضعهُ كان مختلا ولا يمكن ان يفي بالمراد فسقط وسقط هو معهُ . ومن اكبر عيوب ذلك الاسلوب انهُ جعل ايراد الحكومة ٩٨٣٧٠٠٠ جنيه وهذا المبلغ لم يكن في الامكان تحصيلهُ وايضًا لم يفرض راتبًا خاصًا للخديوي وعائلتهِ فيضطر ان يعود الى ابتزاز الاموال باية واسطة كانت

وجعل رجال الحكومة يبتزون الاموال من الفلاحين قوة واقتدارًا فاضطرَّ هؤُلاء ان يستدينوا المئة باربعة او بخمسة في الشهر خوفًا من الكرباج وكنتُ قبل ذلك راغبًا في ترك القطر المصري ولكن الرغبة في اصلاح احوالهِ المالية حملتني على البقاء فيهِ فلما يئست من

اصلاحها استعفيت وغادرت البلاد في ٢٤ مايو سنة ١٨٧٩ وعُيّن السر اوكلند كالفن في قومسيون الدين بدلاً مني . والحوادث التالية لاستعفائي الى ان رجعت مراقباً عاماً لم اشاهدها بنفسي بل اعتمدت فيها على ما ذكرهُ غيري

لما رأت انكلترا ان اسمعيل باشا عاد الى سابق عهدهِ من ابتزاز الاموال من الفلاحين وهي تعلم ان ذلك يفضي الى خراب البلاد بعث لورد سلسبري الى السر فرنك لاسلس يقول له "ان الخديوي يعلم ان الاسباب التي جعلت الحكومة الانكليزية تهتم بامور القطر المصري قضت عليها بان تهتم بترقيتهِ واصلاح حكومتهِ . ولقد كانت تحسب حتى الآن ان استقلال الخديوي وتأييد العائلة الخديوية ضروريان للوصول الى هذه الغاية وهي تعلم ان هذا هو غرض الحكومة الفرنسوية ايضاً ولذلك تميل الى حسبان ما فعلهُ الخديوي متسرّعاً من جهة مستقبل الاصلاح ومن جهة قيامهِ في وجه الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية انهُ فعلهُ وهو ينوي الرجوع عنهُ . وتفضل ان ترى في ما سيعملهُ تفسيراً مرضياً للسياسة التي اتّبعها اخيراً ولكنهُ اذا استمرّ على تجاهلهِ القيود التي ارتبط بها باعمالهِ السابقة وعهودهِ واصرّ على رفض مساعدة النظّار الاوربيين الذين تقدمهما فرنسا وانكلترا له اضطررنا ان نستنتج من ذلك ان عدم مراعاتهِ لعهودهِ الذي دلّت عليهِ اعمالهُ الاخيرة هو نتيجة خطّة مقرَّرة يريد الجري عليها دائماً وانهُ يرفض صداقتهما عن قصد وتعمُّد وحينئذٍ فالحكومتان تحفظان لنفسيهما الحرية التامّة لتقدرا عملهُ قدرهُ وتحميا مصالحهما في مصر وتدبرا التدابير التي تحسبانها خير ما يمكن تدبيرهُ لنجاح القطر المصري وحسن ادارتهِ"

ولا بد من ان الخديوي كان يعلم خطارة الخطة التي جرى عليها حينما اخرج الناظرين الاوربيين فدعا كبار القواد ليحلفوا لهُ يمين الطاعة ويتعهدوا بالدفاع عن البلاد وعنهُ وعن عائلتهِ . وزيد عدد الجيش ولكن لم يكن ذلك ليمنع شكوى الجنود من سوء الاحوال فلما اخبرهُ السر فرنك لاسلس برسالة لورد سلسبري انكر انهُ يقصد ان يقف في وجه انكلترا وفرنسا ولكنهُ لم يُعد الناظرين الى منصبيهما . واتضح حينئذٍ انهُ لا يمكن اصلاح الاحوال والخديوي اسمعيل على كرسي الخديوية وكانت المانيا اول دولة ضربتهُ الضربة القاضية فانها امرت قنصلها الجنرال في القاهرة ان يخبرهُ ان الحكومة الامبراطوريّة (الالمانية) تعدُّ الدكرتو الخديوي الذي صدر في ٢٢ ابريل وخوَّل الحكومة المصرية الحق بتدبير امر الدين اعتداء صريحاً على الحقوق الدولية التي ارتبطت بها مصر وتمت انشاء المحاكم المختلطة يقصد بهِ ابطال حقوق موجودة ومعترف بها ولذلك فهي تحسب ذلك الدكرتو لاغياً من حيث سلطة المحاكم المختلطة

ومن حيث حقوق رعايا الامبراطورية الالمانية وتعدُّ الخديوي مسؤُولاً عن كل النتائج التي تنتج عن اعمالهِ المخالفة للقانون". واشتركت دول اخرى من الدول الكبرى في هذا الاحتجاج

وفي ١٩ يونيو بلَّغ السر فرنك لاسلس الخديوي ما يأتي متبعاً في ذلك تعليمات لورد سلسبري وهو" ان الحكومة الفرنسوية والحكومة الانكليزية اتفقتا على ان تنصحا سموك رسميًّا لتعتزل وتخرج من القطر المصري فاذا انتصحت بنصحنا فنحن نهتم بان يعيَّن لك راتب مناسب وتبقى الخديوية في بيتك فيخلفك ابنك البرنس توفيق، واذا ابيت ان تعتزل واضطررت الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية الى مخاطبة السلطان في ذلك رأساً فلا يمكنك ان تعتمد على مساعدتهما لا في تعيين الراتب لك ولا في اعطاء الخديوية لابنك"

وبعث لورد سلسبري حينئذ رسالة مسهبة الى السر فرنك لاسلس بيَّن فيها الاسباب التي دعت الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية الى الاهتمام بالمسائل المصرية

ولما بلَّغ معتمدا انكلترا وفرنسا الخديوي قرار دولتيهما طلب ان يُمهَل ريثما ينظر في طلبهما ثم اخبرهما في ٢١ يونيو انهُ رفع الامر الى السلطان . وكان قد ارسل رسولاً الى الاستانة ومعهُ الاموال اللازمة . وقيل للسلطان ان غرض انكلترا وفرنسا التطاول على سلطتهِ في مصر. واتفقت المانيا والنمسا وروسيا وايطاليا على نصح الخديوي ليعتزل . وفي ٢٤ يونيو جاء المسيو تريكو قنصل فرنسا الجنرال ان الباب العالي اعتمد على عزل اسمعيل باشا وتنصيب حليم باشا بدلاً منهُ وكان الوقت بعد نصف الليل فقام السر فرنك لاسلس والمسيو تريكو والبارون سورما قنصل المانيا الجنرال واتوا الى سراي الخديوي ومعهم شريف باشا ونقلوا اليهِ الخبر وطلبوا منهُ ان يعتزل فابى

وفي اليوم التالي أُعدَّ امرٌ خديوي من مقتضاهُ جعل الجيش المصري مئة وخمسين الفاً. وجرى البحث في تغريق البلاد كلها حول الاسكندرية ولكن الخديوي نفسهُ كان يعلم ان الحيَل قد فرغت وانهُ لا بدَّ من الرحيل وقد ارسل كثيرًا من امتعتهِ الثمينة الى يختهِ في الاسكندرية . ثم اتفقت دول اوربا على تنصيب البرنس توفيق لا البرنس حليم وفي ٢٦ يونيو جاء تلغراف من الاستانة معنون "الى الخديوي السابق اسمعيل باشا" وفيهِ الفقرة التالية

" لقد ثبت ان بقاءكم في منصب الخديوية لا يمكن ان تكون لهُ نتيجة غير تكثير المشاكل وتعظيمها وعليهِ فجلالة السلطان بعد ان قرَّ قرار مجلس وكلائهِ قد قرر تعيين دولة محمد توفيق باشا في منصب الخديوية وقد صدرت الارادة السلطانية بذلك وهذا القرار السامي قد ابلغ الى دولتهِ برسالة برقية اخرى فاطلب منكم اعتزال اشغال الحكومة طبقاً لامر جلالة السلطان"

وجاء تلغراف الى البرنس توفيق بتعيينهِ خديويًّا على مصر

فرأى اسمعيل باشا حينئذٍ ان الامر قد قضي فبعث الى ابنهِ وسلم السلطة اليهِ امام نظار حكومتهِ . وفي الساعة السادسة ونصف من ذلك اليوم عينهِ (قبيل المغرب) أُطلقت المدافع من القلعة اعلامًا بتنصيب البرنس توفيق خديويًّا على القطر المصري واستقبل سموهُ فيها استقبالاً رسميًّا حضرهُ معتمدو الدول ونظار الحكومة وكبار الموظفين وجمهور كبير من الاهالي

وفي الثلاثين من يونيو قبل الظهر بنصف ساعة خرج اسمعيل باشا من القاهرة قاصدًا الاسكندرية وكان قد اظهر انهُ لا يريد ان يكون وداعهُ رسميًّا فلم يحضر احد من وكلاء الدول لوداعهِ ولكن حضر كثيرون من غيرهم . ولما ودَّع الخديوي توفيق اباهُ واخوتهُ لم تبقَ عين لم تدمع . ولما وصل اسمعيل باشا الى الاسكندرية نزل في يختهِ المحروسة ونزل لوداعهِ كثيرون من الموظفين والنزلاء الاوربيين فصافح الجميع وباسطهم في الكلام فابدوا لهُ عواطف الحب والاحترام

قيدار وممالك حاصور

استلفات نظر اصحاب الانسكلوبيديات ومعاجم الكتاب

في اثناء بحثي عن اصل الانباط في البتراء راجعت ما كتب في سفر ارميا النبي عن غزوات نبوخذنصر (او بختنصر) وهي كتابة يعتمد عليها لان النبيَّ كان من معاصري نبوخذنصر ومن ثمَّ فالوارد عنهُ في سفرهِ هو من اصح واثبت ما جاء عن هذا الملك لا يدانيهِ في الصحة شيءٌ الاَّ ما ورد في الآجرّ البابلي مما كتبهُ بختنصر نفسهُ او احد معاصريهِ فوجدت ان من جملة الامم التي حاربها بختنصر القيداريين وممالك حاصور . اما القيداريون فمن وصفهم لا يشك محقق انهُ يعني بهم العرب العدنانيون في الحجاز وشمالي العربية . واما ممالك حاصور فلا يزال فيها رأي لباحث

راجعت الانسكلوبيديا البريطانية فلم ارَ فيها ادنى اشارةٍ الى هذه الممالك ومثلها الانسكلوبيديا الاميركانية فقلت دعني انظر في تفسير الكتاب للعلاَّمة بوتلر وهو من احدث كتب التفاسير ومن اشهرها فنظرت فلم اجد فيهِ ما يشفي فانقلبت الى معاجم الكتاب فراجعت احدثها عهدًا واشهرها فلم ارَ فيها ما يزيد عما في غيرها مما اطلعت عليهِ . الاَّ ان العلاَّمة

هيستن في معجمهِ الشهير المطبوع سنة ١٨٩٨ — ١٩٠٢ اشار الى رأي العلاَّمة كونور فقال في آخر ما ذكرهُ عن لفظ حاصور نقلاً عن العلاَّمة المومى اليهِ انها مكان غير معروف في بلاد العرب يذكر مع قيدار وان نبوخذنصر حارب اهلهُ. والاشارة في غاية الاختصار لا تزيد عن السطرين وقد ذكرت معناها على ما بقي في ذهني لا ترجمتها الحرفية فمن شاء فليراجع معجم هذا العلامة في باب حاصور

كان في ذهني من قبلُ انَّ بلاد اليمن من جملة البلدان التي حاربها نبوخذنصر فحدست ان ممالك حاصور هذه هي بلاد اليمن او قسم منها لان اشارة ارميا النبي — اهربوا انهزموا جدًّا تعمّقوا في السكن يا سكان حاصور الخ — لا تنطبق على حاصور مدينة يابين بقرب بحيرة الحولة فانقلبت الى كتب التاريخ العربية ابحث عما يقوم دليلاً على صحة ما حدستهُ فراجعت العلامة ابن خلدون والمسعودي فرأيتهما في حروب نبوخذنصر في بلاد العرب يقرنان ذكر بني حضورا بالعرب العدنانيين كما يقرن ارميا النبي ممالك حاصور بالقيداريين والمستنتج من ذلك لا يكاد يشك بهِ على ما ارى اي ان بني حضورا وممالك حاصور هما اسمان لمسمًّى واحدٍ كما ان قيدار والعرب العدنانيين اسمان ايضًا والمسمى واحد ولاسيما اذا اعتبرت المشابهة اللفظية الواضحة بين حاصور وحضور. فبقي عليَّ تحقيق موقع حضور او حضورا في اي نقطة هو من البلاد العربية

فقلت اراجع الهمداني صاحب وصف جزيرة العرب فلعلهُ يذكر شيئًا عن ذلك فراجعتهُ فاذا بهِ يذكر ما أُحبُّ ان يذكرهُ. واليك النقول الآتية عن كلٍّ من هؤُلاء الائمَّة الاعلام

عن العلامة ابن خلدون

قال هذا العلامة في الجزء الثاني من تاريخهِ المشهور طبعة بولاق صفحة ١٦٠ وبختنصر هذا الذي غزا العرب وقاتلهم واستباحهم. قال هشام بن محمد اوحى الله الى ارميا النبي يأمر بختنصر ان يفرّق العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم ويستبيحهم بالقتل. قال فوثب بختنصر على من وجدهُ ببلادهِ من العرب للميرة فحبسهم ونادى بالغزو وجاءت منهم طوائف مستسلمين فقبلهم وانزلهم بالانبار والحيرة. وقال غير هشام ان بختنصر غزا العرب بالجزيرة وما بين ايلة والابلّة وملأَها عليهم خيلاً ورجالاً ولقيهُ بنو عدنان فهزمهم الى حضورا واستلحمهم اجمعين. وقال وجه ٢٣٧ من الجزء المذكور. يقال في مبداء كونهم هناك ان بختنصر لما سلطهُ الله على العرب — قتل اهل الوبر بناحية عدن اليمن نبيهم شعيب بن ذي مهدم — فاوحى الله الى ارميا بن حزقيا وبرخيا ان يسيّرا بختنصر الى العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم وان يقتل

ولا يستحيي ويستلحمهم اجمعين ولا يبقي منهم اثرًا — وسار الى العرب وقد نظم ما بين ايلة والابلّة خيلاً ورجلاً وتسامع العرب باقطار جزيرتهم واجتمعوا للقائهِ فهزم عدنان اولاً ثم استلحم الباقين ورجع الى بابل وجمع السبايا فانزلهم بالانبار ثم خالطهم بعد ذلك النبطة

وقال ايضاً وجه ٢٣٩ من الجزء المار ذكرهُ . وغزا بختنصر العرب واستلحمهم وهلك عدنان وبقيت بلاد العرب خراباً. قال السهيلي وكان رجوع معدّ الى الحجاز بعد ما دفع الله بأسهُ عن العرب ورجعت بقاياهم التي كانت بالشواهق الى مجالاتهم بعد ان دوَّخ بختنصر بلادهم وخرب معمورهم واستأصل حضورا واهل الرسّ التي كانت سطوة الله بالعرب من اجلهم

وقال وجه ٢٤٣ من الجزء المذكور . ومن كعب بن زيد الجمهور ويلقب كعب الظلم ابناه سبإِ الاصغر بن كعب واليهِ ينتهي نسب ملوكهم التبابعة ومن زيد الجمهور بنو حضور بن عدي بن مالك بن زيد وقد مرَّ ذكرهم وتقول اليمن ان منهم كان شعيب بن ذي مهدم النبيّ الذي قتلهُ قومهُ فغزاهم بختنصر فقتلهم . وقيل هو حضور بن قحطان الذي اسمهُ في التوراة يقطان ومنهم ايضاً بنو ميتم وبنو احالة ابني سعد بن عوف بن عدي بن مالك اخي ذي رعين وعوف هذا اخو حضور واخوهُ احاظة وميتم بنو حراز بن سعد

عن العلامة المسعودي

وقال العلامة المسعودي في كتابهِ مروج الذهب الجزء الاول وجه ٢٢٦ وكانت (اي بنو حضورا) امةً عظيمة ذات بطش وشدَّة فغلبت على كثير من الارض والممالك وقد تنازع الناس فيهم فمنهم من الحقهم بمن ذكرنا من العرب البائدة ممن سمينا ومنهم من رأى انهم من ولد يافث بن نوح وقيل في انسابهم غير ما ذكر من الوجوه . وقد كان بعث الله عزَّ وجل اليهم شعيب بن ذي مهدم بن حضورا نبيًّا ناهياً عما كانوا عليهِ وهذا غير شعيب بن نوفل ولما بعث الى حضورا واشتدَّ كفرهم جدَّ نبيهم شعيب بن ذي مهدم في دعائهم وخوَّفهم وتوعَّدهم فقتلوهُ فاوحى الله الى نبيٍّ كان في عصرهِ وهو برخيا وكان من سبط يهوذا — ان يأتي بختنصر وكان بالشام — فيأمرهُ ان يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم فلما اتى برخيا ذلك الملك قال لهُ الملك صدقت لي سبع ليالٍ أُومر في نومي بما ذكرت وانادى بمجيئك اليَّ وأُبشّر ويقال لي ما امرتني بهِ وانا انتصر للنبي المقتول المظلوم. فسار اليهم في جنودهِ وغشي ديارهم في عساكرهِ وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا لحربهِ من حيث عمَّ الصوت جميعهم . فلما سمعوا ذلك علموا ان الامر قد نزل بهم فانفضَّت جنودهم وتفرَّقت جموعهم وولَّت كتائبهم واخذهم السيف فحصدوا اجمعين

عن العلامة الهمداني

جاء لهذا العلامة في كتابهِ وصف جزيرة العرب طبع ليدن سنة ١٨٨٤ وجه ١٠٦ ما نصهُ قال

مخلاف حضور وهو حضور بن عدي بن مالك من ولدهِ شعيب النبي بن مهدم بن ذي مهدم بن المقدّم بن حضور عليهِ السلام وهو الذي قتلهُ قومهُ ويقال قتلهُ اهل حضورى وعربايا وكان بُعث اليهم . فسافلة حضور بناغ وشمّ وماضخ وصابح والاغيوم وبرَيش ومنهم يحزا وعلسان فهذه سافلة حضور . ويحضور الصيد وهم يتهمدنون ويقال انهم من حمير وهم غير صيَد همدان . وعالية حضور واضع والمعلل وحقل مسهمان . انتهى

نرى مما ذكرهُ الهمداني صراحةً ان هذا المخلاف هو في منتصف بلاد اليمن على مقربةٍ من صنعاء وانهُ نُسب الى حضور بن عدي بن مالك وابن خلدون يصرّح ان حضور هو من نسل زيد الجمهور الذي ينتهي اليهِ نسب التبابعة وعليهِ فبنو حضورا كانوا التبابعة في ايام نبوخذنصر وكان لهم ملك اليمن وتهامة معاً. وهذا مما تناسبهُ عبارة المسعودي — اي انهم كانوا امة ذات بطش وشدة وقد غلبت على كثير من الممالك

ثم اذا صدَّقنا قول اهل اليمن عن انفسهم في تواريخهم او تقاليدهم علمنا ان شعيب بن ذي مهدم كان من امراء آل حضور فان هذه الاضافة — اي ذي مهدم — تشعر بذلك ولها نظائر عندهم كذي الكلاع وذي يزن وذي شحر الخ فانها كلها اسماء امكنة أُضيف اليها كما صرّح المسعودي بذلك . وشبيه بها عبارة مؤرخي المولدين في قولهم مثلاً صاحب صور وصاحب طرابلس وصاحب الشوبك وصاحب سنجر وامثال ذلك كثيرة ولعلهم اتبعوا اصطلاح من سبقهم انما ابدلوا ذي بمعناها اعني صاحب . وعليهِ فمهدم اسم البلد التي كان ابوهُ اميرًا عليها . والمهدم ولا شك يراد بها مدينة المهجم الحالية وهي من امهات مدن تهامة اما المشابهة اللفظية فواضحة فان الجيم والدال يقرب لفظ احدهما من الاخر بل كثيرون لا يلفظون الجيم الاَّ دالاً فاذا قلت لهم قولوا مهجم قالوا مهدم . واما المشابهة في الصفة فابن خلدون يقول كما نقلنا عنهُ ان اهل الوبر في ناحية عدن اليمن قتلوا نبيهم شعيب ابن ذي مهدم واهل تهامة كانوا ولا يزالون لحد هذه الساعة اهل وَبر والمهجم من امهات مدنهم وربما كانت ايضاً عاصمتهم في ذلك الحين فالوصف الذي ذكرهُ ابن خلدون منطبق عليها

دعنا الآن نذكر محصل ما جاء عن نبوخذنصر في سفري ارميا وحزقيال وسفر الملوك الثاني اما النبيان فكانا معاصرين لنبوخذنصر واما صاحب سفر الملوك فكان بعدهُ بقليل

وربما عاصره مدةً على الراجح . ثم محصّل ما جاء عنهُ في تواريخ العرب وتقاليدهم على ما رأيت في النقول التي نقلنا وبعد ذلك ننظر في مقابلة المحصلين احدهما بصاحبهِ فان في الواحد ما يُفسّر بعض ما في الاخر من الابهام كما سترى : —

في اواخر ملك يوشيا ملك يهوذا صعد فرعون نخو بجيوشهِ يقصد كركميش على الفرات شمالي حلب فاعترضهُ يوشيا ملك يهوذا في بقعة مجدو فاصابهُ الرماة بسهم فجرح جرحًا مميتًا ونقله عبيده من المركبة التي كان يحارب فيها متنكرًا الى مركبتهِ الثانية ورجعوا بهِ الى اورشليم فمات هناك ودفن في قبور آبائهِ وملَّك اليهود ابنهُ يهواحاز بدلاً منهُ . الاَّ ان فرعون نخو عاد من كركميش بعد ثلاثة اشهر ومرَّ باورشليم فعزل يهواحاز واخذه اسيرًا الى مصر ونصب مكانهُ اخاهُ الياقيم بعد ان ضمن له ما غرّم بهِ الارض من وزنات الفضة والذهب وسماه يهوياقيم

وبعد اربع سنوات من موت يوشيا كانت موقعة كركميش التقت فيها جيوش نبوخذنصر بجيوش المصريين فكانت حربًا هائلة دارت فيها الدائرة على جيوش نخو وفاز البابليون على المصريين فوزًا كبيرًا فارتد هولاء الى بلادهم مهزومين وتعقبهم نبوخذنصر حتى جاء الى اورشليم فلم يكن من يهوياقيم ادنى مقاومة فقيده نبوخذنصر ليذهب بهِ الى بابل الاَّ انهُ عاد فاستبقاهُ عاملاً لهُ وما زال يهوياقيم عبدًا لنبوخذنصر ثلاث سنوات ثم عصى عليهِ وعاد الى موالاة المصريين الى ان مات في السنة الحادية عشرة من ملكهِ وملك ابنهُ يهوياكين بدلاً منهُ

وفي اواخر ملك يهوياقيم جاءت جيوش البابليين الى اليهوديَّة وبعد ثلاثة اشهر من ملك يهوياكين شدد نبوخذنصر الحصار على اورشليم فلم يعد يهوياكين يقوى على المدافعة فاستسلم هو وامهُ وعبيده ورؤساؤهُ وخصيانهُ لنبوخذنصر فاخذهم الى بابل وسبى معهم سبعة الاف من اقوياء الارض واصحاب البأس فيها فضلاً عن الابطال اهل الحرب وفضلاً عن الصناع من النجارين والحدادين

ولم يذكر في سفر ارميا ولا في سفر حزقيال ولا في سفر الملوك ما السبب في عصيان يهوياقيم على ملك بابل بعد ان استعبد لهُ ثلاث سنوات . على ان ارميا النبي يشير الى اسم القبائل العربيَّة ددان وتيماء وبوز وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين في البريَّة وكل ملوك زمري وان هذه الامم كلها كانت عند موقعة كركميش او بعدها بقليل حربًا لنبوخذنصر ومن جملتهم قيدار وممالك حاصور وان نبوخذنصر كان يُعد لحرب هولاء عن آخرهم . وهذه عبارتهُ في شأن ممالك حاصور قال « اهربوا انهزموا جدًّا تعمقوا في السكن ياسكان حاصور يقول الرب لان نبوخذنصر ملك بابل قد اشار عليكم مشورةً وفكر عليكم فكرًا »

وجاء في سفر الملوك انهُ لما عصي يهويا قيم على نبوخذنصر بعد ان استعبد لهُ ثلاث سنين ارسل الرب عليهِ غزاة الكلدانيين وغزاة الاراميين والعمونيين والموابيين لم يذكر نبوخذنصر ولا جيوشهُ حينئذٍ وانما ذكرهُ في ابتداء ملك يهوياكين فلماذا لم يأتِ نبوخذنصر او على الاقل لماذا لم يرسل جيوشهُ لحرب من عصى عليهِ بعد ان واثقهُ على الطاعة ولماذا اخر غزوهُ والاقتصاص منهُ اربع سنوات تقريباً . ثم لما تحرَّك نبوخذنصر وسار بجيوشهِ على اورشليم يقول صاحب سفر الملوك هذه العبارة يعترض بها اعتراضاً — " ولم يعد ملك مصر يخرج من ارضهِ لانَّ ملك بابل اخذ من نهر مصر الى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر " كل هذا مما يحتاج الى تفسير ولا يفسرهُ الاَّ حروب ملك بابل في حاصور على ما ارى فلنتقدم اذن لذكر محصَّل ما يفهم من النقول التي نقلناها آنفاً عن ابن خلدون والمسعودي والهمداني

يتحصل منها انَّ بني حضورا وهم ممالك حاصور كانوا ملوك اليمن في ذلك الحين وان عاصمتهم كانت صنعاء او مدينة اخرى بقرب صنعاء ولعلها مدينة حاز في مخلاف حضور فان الهمداني يذكر انها مدينة قديمة وفيها آثار جاهلية وكانت تهامة تابعةً لهم . ويتحصل ايضاً ان شعيب نبيَّ بني حضورا وابن صاحب المعجم كان من اشياع نبوخذنصر وحكمهُ في قومهِ كحكم ارميا في اليهود فلما قتلهُ قومهُ من اهل الوبر في تهامة استنجد اهلهُ او حزبهُ بختنصر وكان حينئذٍ في اليهوديَّة وجهاتها يفكر في غزو العرب و بلاد اليمن ليلحقها باملاكهِ كما فعل من سبقهُ من ملوك اشور وقوادها العظام فسار اليهم ليثأر منهم بدم النبيِّ المقتول . وكان مسيرهُ بعد ان مرَّ باورشليم في الرابعة من ملك يهوياقيم . وهنا نقول انهُ لاقى من الصعوبات في غزو هذه البلاد اشدَّ مما لقيهُ الرومان في اوائل التاريخ المسيحي في ايام اوكتافيوس قيصر ذلك لان هؤلاء لم يحتاجوا الى قطع الصحراء الشمالية لانهم ساروا بالسفن من مصر حتى بلغوا الحوراء فنزلوا عليها ومن هناك دخلوا تهامة واليمن واما هو فاضطرَّ الى قطع الصحراء ومحاربة العدنانيين او قيدار اولاً وبعد ان استلحمهم استمرَّ على غزوتهِ خلفهم الى تهامة وحضورا . وعليهِ فقد لاقى من المشقات اضعاف ما لاقاهُ الرومان ولاسيما ان المصريين كانوا عليهِ لامعهُ ومن اشدّ خصومهِ ايضاً ولا يبعد انهم انجدوا اهل حضورا وامدّوهم بالمال والرجال . ولا يبعد ايضاً بل هو مما يجوز لنا ترجيحهُ ان قد توجهت عليهِ غلبة او غلبات احياناً فأُشيع خبر انغلابهِ في سوريا وفلسطين اشاع ذلك خصومهُ المصريون فارتد بذلك كثيرون من الشعوب عن طاعتهِ ومن جملتهم اليهود . وهذا مما يفسر لنا سبب عصيان يهوياقيم على بختنصر بعد ان استعبد لهُ ثلاث سنين على ضعف سياستهِ وتفرُّق قلوب اهل

مملكتهِ عنهُ . و يفسر لنا ايضاً ما جاء بهِ صاحب سفر الملوك من انهُ لما عاد يهوياقيم فتمرد على بختنصر ارسل عليهِ الرب غزاة الكلدانيين والاراميين ولم يقل جيش الكلدانيين ولا بختنصر ملكهم لانهُ لم يكن حينئذٍ يستطيع ان يحضر بنفسهِ ولا ان يرسل اليهم جانباً كبيرًا من جنودهِ لانهُ كان منهمكاً بحروبهِ في اليمن وتهامة وكانت الحرب شديدة لا تؤذن لهُ ان يوجه جيشاً كبيرًا منظماً ليقتص من اليهود فارسل من ثمَّ شراذم غزاةً فالتفَّ عليهم قوم من الاراميين والموابيين والعمونيين اعداء اليهود وكان من همّ هؤلاء الغزاة مضايقة اليهود واعناتهم بالغزو على اطراف بلادهم وقطع السابلة على تجارهم وقوافلهم الى ان يكون فرغ بختنصر من حرب العرب . ومما يستوجب الفكرة أنْ لم يكن بين هؤلاء الغزاة على يهوياقيم احد من الادوميين ولعلَّ ضلعهم كان مع اليمنيين على بختنصر كما كان ضلع من خلفهم من الانباط مع اهل اليمن على الرومانيين

وقد استمرَّت هذه الحرب على ما يظهر نحوًا من ثلاث سنين خرج منها بختنصر مظفَّرًا غالبًا ودانت لهُ عند نهايتها البلاد كلها من نهر مصر الى نهر الفرات وفرغ حينئذٍ لحرب اليهود فلم يلبث ان استسلم اليهِ يهوياكين ملكهم بعد ثلاثة اشهر من الحصار كما ذكرنا

هذا ما خطر لي في التحقيق عن ممالك حاصور ولا اشكّ ان من يقابل كما قابلت ويراجع ما راجعتهُ يتبين لهُ كما تبين لي وخلاصتهُ ان قيدار هم العرب العدنانيون وان ممالك حاصور هم بنو حضورا تبابعة اليمن في ذلك الحين وان حروب بختنصر معهم استمرَّت نحوًا من اربع سنوات من السنة السابعة ليهوياقيم الى السنة الحادية عشرة من ملكهِ وهي السنة التي مات فيها . ويظهر لهُ ايضاً ان التبابعة بني حضورا كانوا منقسمين الى حزبين حزب مع المصريين وآخر وهو حزب شعيب بن ذي مهدم مع البابليين وان هذا الانقسام والتحزُّب لنبوخذنصر هو الذي مكَّن هذا الملك البابلي من اجتياح بلادهم وايقاعهِ بهم حتى كاد يفنيهم مما لم يسبق للملك قبلهُ ولم يتأتَّ مثلهُ لمن بعدهُ . وقد بقي خبر هذه الغزوة لشدتها محفوظاً في تقاليد اليمن لحد هذه الساعة دون غيرها من غزوات المصريين والاشوريين والرومانيين . ومما يؤيد صحة هذه الغزوة على ما ذكرنا ايضاً وجود الانباط وهم سكان بابل في حقل جهران وحقل قتاب في قلب اليمن قال الشاعر على لسان احد التبابعة

فسكّنتُ العراق خيار قومي وسكّنت النبيط قرى قتاب

انظر الهمداني وصف جزيرة العرب وجه ١٠٤ . وفوق كل ذي علمٍ عليم

بيروت المدرسة الكلية جبر ضومط

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تسخين الطعام

ترى في الصورتين المقابلتين سيدة باحسن ثيابها وزينتها تطبخ طعامها بيدها ولا يمنعها ذلك من ان تجلس على كرسيها تقرأ جريدة او تخيط ثوباً . وترى امامها قنديلاً من قناديل السبيرتو وهي تملأهُ من ابريق السبيرتو وفوقهُ مقلاة لطبخ الطعام او لتسخينهِ والمقلاة موضوعة على كانون مزخرف من الحديد لهُ ثلاث قوائم وكل ذلك موضوع على مائدة مغطاة بملاءة بيضاء نقية لا تخجل اية سيدة كانت من وضعها في غرفة المائدة او في غرفة الجلوس. وترى هذه السيدة نفسها في الصورة الثانية ترفع الغطاء عن المقلاة وتنظر الى ما فيها من طعام لترى هل سلق او قلي او قلَّ ماؤُهُ وهي ممسكة الغطاء بيدها ولا تحترق لان مسكتهُ من الخشب او الابنوس الذي لا تمتد الحرارة فيهِ

ان طبخ الطعام او تسخينهُ على هذه الكيفية صناعة قديمة جدًّا كان نساء تروادة يستعملنها منذ ثلاثة آلاف سنة كما يستدلُّ من الآنية التي اكتشفها شليمن في خرائب تلك المدينة . وكانت المقالي والقدور تصنع حينئذٍ من الذهب والفضة كما كانت تصنع من الفخار دلالة على ان نساء الاغنياء كن يطبخن بايديهنَّ كما يطبخ اخواتهنَّ الفقيرات . وقد كشفت مقالي وقدور مثل هذه في المدافن المصرية القديمة ومعها كوانين يوضع فيها الجمر لطبخ الطعام او لتسخينهِ . وتغنى احد شعراء اليونان بمدح طبَّاخ قلى السمك بمقلاة على الكانون

وكان الرومانيون يصنعون المقالي من الفضة والنحاس ويصفُّونها حول المائدة على كوانينها حتى يبقى الطعام فيها سخنًا لذيذًا على ما قالهُ سنيكا الحكيم . وقال شيشرون الخطيب ان بعض تلك المقالي كان ثمينًا جدًّا حتى ان واحدًا سمع مرةً صوت الدلال ينادي على مقلاة ويذكر ثمنها فظن انهُ يبيع ابعديَّة

وكان طبخ الطعام على هذه الصورة شائعًا في فرنسا فقد كان عند الملكة ماري انطوانت مقلاة تسخّن الطعام فيها بقنديل السبيرتو في زمن عزها وهي في قصر بتي تريانون. واستعمال

الصورة الاولى

الصورة الثانية

قنديل السبيرتو كان بدعة جديدة بعد ان كان الطعام يطبخ ويسخن على كوانين الجمر

وقد يظن لاول وهلة ان هذا النوع من الطبخ او التسخين لا يستعمل الآ في اعداد الفطور صباحاً والطعام الخفيف الذي يؤكل عصر النهار. ولكن النساء الاميركيات يستعملنهُ الآن لاعداد كل انواع الاطعمة لان اجور الخدم كبيرة فاحشة في اميركا فقلما تستطيع المرأة التي حالة زوجها متوسطة ان تستأجر طبَّاخاً فتضطر ان تطبخ طعام بيتها بيدها وتختار لذلك قناديل السبيرتو الكبيرة التي يشتعل القنديل منها ساعةً ولا يحتاج ان يوضع فيهِ سبيرتو جديد ولهُ مفتاح يرفع بهِ ويخفض حتى تزيد حرارتهُ او تقلُّ حسب مقتضى الحال ويكون الكانون حولهُ جميل الشكل تزدان بهِ المائدة التي يوضع عليها ويكون للمقالي مسكات طويلة من خشب الابنوس حتى لا تسخن وتحرق اليد ويكون مع القنديل ابريق للسبيرتو طويل العنق حتى يسهل على المرأة ان تملأ منهُ القنديل ولا تتسخ يدها كما ترى في الصورة الاولى ويكون للمقالي اغطية محكمة حتى يبقى البخار مع الطعام فيسهل نضجهُ ولا يجف

والاطعمة التي تطبخ على هذه الكيفية كثيرة ولاسيما بعد ان صارت اطعمة مختلفة تباع في علب من الصفيح ولا تدعو الحال الآ الى تسخينها ولكن اذا لم تكن هذه الاطعمة موجودة فلا يتعذَّر على المرأة ان تقلي السمك وتحمّر اللحم وتفلفل الرز وتصنع الشوربا بل قد لا يتعذَّر عليها ان تطبخ اليخاني على انواعها ولاسيما اذا جرت على الاساليب الاوربية

ولهذا النوع من الطبخ مزايا كثيرة فان المرأة التي تطبخ طعام بيتها بيدها على هذه الصورة لا تفرّط في شيء ولا تتلف شيئاً وتوفّر اجرة الطباخ وطعامهُ ولا نبالغ اذا قلنا انها توفر نصف مصروف الاكل اذا كانت عائلتها مؤلفة من زوجها وولدين او ثلاثة ثم ان طبخ طعامها على هذه الصورة لا يتعبها لانها تطبخ وهي جالسة على كرسيها وقلما تضطر الى الوقوف ولا يضيع وقتها بل تتسلَّى

واذا كانت المرأة في سعة وعندها الخدم والحشم فتعلُّمها الطبخ على هذه الكيفية لا يضرها بل ينفعها لانها قد تضطر اليهِ اذا كانت في سفر او اذا خرجت مع اصحابها للنزهة

الاولاد وجنائن الحيوانات

لا شيء يسلي الاولاد ويعلمهم ويفيدهم مثل مشاهدة المعارض وجنائن الحيوانات اما المعارض فمدن القطر المصري محرومة منها ما عدا دار التحف المصرية في القاهرة ودار التحف اليونانية والرومانية في الاسكندرية والدخول اليهما قلما يكون مباحاً للاولاد واما جنائن

الحيوانات ففي القاهرة اثنتان منها الآن جنائن الحيوانات في حديقة الجيزة واحواض الاسماك في الجزيرة والدخول اليهما مباح باجرة طفيفة وقد صار الوصول الى جنائن الجيزة سهلاً بعد امتداد خط الترامواي على كبري الجيزة فيليق بالوالدين ان لا يدعوا فرصة تضيع من غير ان يأخذوا اولادهم لمشاهدة ما في تلك الجنائن من الحيوانات على انواعها فقد رأينا اطفالاً لا يزيد عمر الطفل منهم على ثلاث سنوات وهم يمشون ساعات في تلك الجنائن يشاهدون ما فيها من الحيوانات المختلفة ولا يشكون تعباً فيستفيدون من رياضة ابدانهم واستنشاق الهواء النقي ويلاحظون اموراً ترسخ في اذهانهم وتوسع معارفهم

وحبذا لو وجد في قلب المدينة معرض طبيعي تعرض فيهِ الحيوانات مصبَّرة على اشكالها وانواعها او لو ابيح لكل احد الدخول الى معرض التاريخ الطبيعي في مدرسة قصر العيني او لو نقل ذلك المعرض الى بناء خاص بهِ وفتحت ابوابهُ في بعض ايام الاسبوع للجمهور فيكون بمثابة مدرسة لهم

مكتبة المرأة

ما اقل كتبنا التي نشير على النساء بمطالعتها وحفظها في بيوتهنَّ للرجوع اليها وقت الحاجة ولكنها على قلتها مفيدة جدًّا ككتاب كفاية العوام للدكتور ورتبات وكتاب تدبير الصحة لهُ ايضاً وكتاب تمريض المرضى لابنتهِ وكتاب سر النجاح ومجلدات المقتطف كلها وكتاب تحرير المرأة وكتاب المرأة الجديدة وهما للمرحوم قاسم بك امين والروايات التي نشرناها في المقتطف ونحو ذلك من الكتب التي لا تخجل الفتاة المتهذبة ان تقرأها على مسمع ابيها وامها واخوتها فان هذه الكتب كلها مفيدة جدًّا ولا يحسن ان تخلو منها مكتبة ربة بيت لانها تكون لها ولاولادها خزانة فوائد ومدرسة تعليم وبستان تسلية

الحذر من الخضر

دخل الصيف ولم ينتشر في القطر وباء بفضل التحوطات الصحيَّة . ولكن كثر انتشار الحمى التيفويدية . وعدوى هذه الحمى الخبيثة تكون في مبرزات المصابين بها فاذا تلوث الماء بمبرزات المصابين وشرب الناس هذا الماء او غسلوا بهِ الآنية التي يوضع فيها اللبن او غسلوا بهِ البقول التي تؤكل من غير طبخ كالخس والفجل والجرجير فان العدوى تنتقل الى الذين يشربون ذلك اللبن او يأكلون تلك البقول

لما فشت الحمّى التيفويدية في مدينة بيروت منذ سنوات قليلة وجد الباحثون انها فشت فيها على اثر مطر جارف وقع في الجبل · والقناة التي يجري فيها الماء الى بيروت من نهر الكلب مكشوفة في بعض الجهات فلا يندر ان يكون انسان مصابًا بالتيفويد وتلقى مبرزاتهُ حيث تجرفها المياه الى تلك القناة فتنتشر جراثيم التيفويد في الماء وتصل الى الذين يشربونهُ. والظاهر انهُ حدث شيء من ذلك فوصلت المياه الى بيروت ملوثة بجراثيم التيفويد ولكن الجراثيم لا تملأُها ولا هي منتشرة فيها على السواء بل متفرقة فيها جماعات جماعات (كولونيات) كما تكون جراثيم الامراض في السوائل التي تنمو فيها فاذا اتفق ان شرب شخص شربةً فيها جماعة من تلك الجراثيم وكان جسمهُ مستعدًّا للعدوى عدي بها · ويقال انهُ اصيب بالتيفويد حينئذٍ نحو اربعة آلاف نفس

ولا يخفى ان البقول كالفجل والخس والثوم والكراث تزرع في ضواحي المدن المصرية وتروى احيانًا كثيرة بافنية قذرة فاذا اصيب صاحب البستان او احد اولادهِ بالتيفويد فلا يبعد ان تتصل مبرزاتهُ بالمياه التي تروى منها تلك البقول فتتلوث بها · وكثيرًا ما ترى النساء يغسلن الخس والفجل في المياه الراكدة على جوانب الترع · وترى كثيرين يتغوطون على جوانب الترع ايضًا فاذا اتفق ان تلوث الماء بمبرزات مصاب بالتيفويد فكل ما يغسل في ذلك الماء يتلوَّث بها · اذا اتضح ذلك فالسبيل لاتقاء عدوى التيفويد يقوم بالامتناع عن شرب الماء الذي يمكن ان تتصل بهِ جراثيم هذا المرض وعن شرب اللبن الاَّ بعد اغلائهِ لكي تموت كل الجراثيم التي يمكن ان يلوَّث بها وعن اكل البقول على انواعها الاَّ بعد غسلها جيدًا بماء نقي · وقس على البقول انواع الفاكهة فانها قد تغسل بماء غير نقي قبل بيعها فيجب غسلها بماء نقي قبل اكلها

الحجاب في الهند

كتب احد الهنود في المجلة الهندستانية مدعيًا ان الحجاب لم يدخل بلاد الهند الاَّ بعد دخول الاسلام اليها فشاعت عادة تحجب النساء حينئذٍ وبقيت الى هذا الزمن فاضعفت عقولهنَّ وضعفت بضعفها عقول الامم الهندية · ومن رأي الكاتب ان لا بدَّ من ابطال عادة تزويج البنات قبل ان يبلغن السن المناسب للزواج وللقيام باعبائهِ ولا بدَّ ايضًا من جعل الزواج بالاختيار اي ان يختار الزوج زوجتهُ والزوجة زوجها بارادتهِ وارادتها وابطال العادة المتبعة الآن وهي اختيار الزوج والزوجة بالتنجيم ومعرفة الطالع فاذا جرى الهنود حسب

مشورة هذا الكاتب الهندي سبقونا في مضمار العمران وجاروا اخوانهم اهالي اليابان

تعليم البنات

قلما نقرأ جزءا من المقتطف الاّ ونجد فيهِ كلاماً عن تعليم البنات . فتحنا الآن المجلد الثالث والعشرين فانفتح عند الصفحة ٥٤٠ وهي من جزء شهر يوليو سنة ١٨٩٩ الذي صدر منذ عشر سنوات فرأينا اننا كتبنا فيها كلاماً مسهباً عن تعليم البنات لا نسترجع منهُ الآن حرفاً واحداً بل نؤيد كل كلمة وردت فيهِ . ومما اشرنا بهِ هناك ان تنشأ مدارس كبيرة لتعليم المعلمات وان يرغَّبن في التعليم بكل واسطة ممكنة ولو جُعلت اجورهنَّ مثل اجور المعلمين ثم ختمنا تلك المقالة بقولنا " ان نشر التعليم الى هذا الحد امر كبير جدًّا ولكن حياة الامَّة متوقفة عليهِ فاما ان تأخذ فيهِ من الآن او تهملهُ لما ترى دونهُ من العقبات المالية والاجتماعية وما ترى عليهِ من الاعتراضات المتلبسة بلباس الدين . فان اخذت فيهِ بالجد وذلَّلت الصعاب تمَّ لها الغرض المطلوب بعد سنين قليلة والاَّ فلا مفرَّ لها من توالي الضعف فيستعزُّ الاجنبي عليها ولا يبقى لها سبيل الى مجاراتهِ "

ظلم الازياء

كان الناس يضربون المثل ببساطة الانكليزيات في ملابسهنَّ اما الآن فقد زالت تلك البساطة وتمكن تجار الازياء (الموضة) من حمل النساء الانكليزيات على متابعتها ولو كنَّ من المتعلمات المهذبات اللواتي قلما كنَّ يهتممنَ بالزينة الخارجيَّة . وقد بلغنا من اللواتي يزرنَ السيدات المصريات المتحجبات انهنَّ يجارين الازياء الحديثة في ملابسهنَّ وعقص شعورهنَّ ويتبعنَ احدثها ويلبسنَ اغلى الثياب ولو لم يرهنَّ احد . ولا يخفى ان نفقات ملابس النساء تبلغ مبلغاً طائلاً جدًّا اذا اتبعنَ الازياء الاخيرة لان ما يساوي جنيهاً اذا كانت موضتهُ قديمة لا يمكنك ان تشتريهُ بجنيهين او ثلاثة اذا كانت موضتهُ جديدة . اما الانكليزيات فلا ضرر من مجاراتهنَّ الازياء لان الانكليز من اغنى امم الارض واما المصريات فلا يمكنهن ان يجارين الازياء لان سكان القطر المصري افقر من افقر سكان اوربا اذا اعتُبرت الثروة العموميَّة . وهنا مجال واسع للحث والانذار فعلى الذين يعلّمون بنات الاغنياء والاوساط ان يرسّخوا في اذهانهنَّ انهنَ لا يستطعن ان يجارين الازياء الجديدة الاَّ بخسارة كبيرة على ذويهنَّ وبلادهنَّ

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

لا سكان في المريخ

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

قرأت ما كتبهُ حضرة الفاضل الاستاذ جرداق في الجزء الاخير من المقتطف رداً عليَّ فرأيتهُ يتضمن امرين جوهريين الاول انكارهُ عليَّ اعتمادي على رأي الاستاذ ولس واتخاذي قولهُ حجة تفوق حجة من يتخذ قول لول اذا خالفهُ . والثاني انكارهُ عليَّ وعلى المقتطف حسباننا الخطوط التي تظهر على سطح المريخ "من جملة الحوادث الطبيعية التي لم يبحث احد في تعليلها حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا" بناءً على ان ذلك يخالف القضايا العلمية المسلَّم بها

فاسمحوا لي ان ابدي لكم ما عندي من الايضاح في هذين الامرين

الاول . نعم ان الدكتور ولس ليس من علماء الفلك مثل الاستاذ لول ولا هو من علماء الرياضيات مثلهُ ولكن مسألة وجود الناس او المخلوقات العاقلة التي تحفر ترع المريخ لا تحل بالرياضيات ولا بالفلك بل ان كان لعلم من علوم البشر سبيل الى حلها فذلك العلم هو علم الحياة الذين برَّز فيهِ ولس على الاقران ولهذا يعتمد رأيهُ ويفضَّل على رأي غيرهِ في هذه المسألة . ولم يخطر ببالي ان هذا الامر يخفى على الاستاذ جرداق او انهُ ينسبني الى الجهل المطبق حتى افضل ولس على لول في علم الرياضات والفلك واحسب ان هذه المسألة تحل بمعرفة الزوايا والجيوب او بالتلسكوب والسبكتروسكوب . نعم ان الاستاذ ولس بنى حكمهُ على ما يعلم من طبائع المريخ وفي جملتهِ عدم وجود الماء فيهِ وقلة الحرارة اللازمة لحياة الحيوان وان شئت فقل لحياة المخلوقات العاقلة التي تحفر ترعاً اطول من النيل واعرض من المسسبي . وقد ثبت الآن وجود البخار المائي ولكن تأخر اكتشافهِ دليل على قلتهِ وهب انهُ ليس قليلاً فوجودهُ

وحده' لا يكفي لحياة الحيوان بل لو وجد البخار المائي والمطر ايضاً وكانت الحرارة معتدلة لما كفى ذلك وحده' لوجود المخلوقات العاقلة كالانسان لان وجود هذه المخلوقات يقتضي سلاسل من التغيرات البطيئة في نمو الاحياء ونشوئها يعلمها ويحكم بها عالم مثل ولس لا عالم مثل لول . فعلماء الفلك وعلماء الطبيعة عموماً يستطيعون ان يعرفوا صفات المريخ الطبيعيَّة من حيث شكله' وثقله' النوعي وحرارتهُ والعناصر الطبيعيَّة الموجودة فيهِ وقد يعرفون بعض المركبات الكيماوية ايضاً ولكن علماء الجيولوجيا يقابلون ذلك بحالة الارض ويحكمون ان المريخ يشبهها في الدور الفلاني من ادوارها الجيولوجيَّة السالفة او التالية وعلماء الحياة يحكمون حينئذٍ هل هو صالح لوجود الاحياء فيهِ او غير صالح وان كان صالحاً فلاي نوع من الاحياء هو صالح وهذا الحكم الاخير لا شأن لعلماء الفلك فيهِ اي لا يؤخذ بقولهم فيهِ اكثر مما يؤخذ بقول غيرهم من جمهور العلماء فان قال عالم مثل ولس ان الشروط اللازمة لحياة الحيوان الارضي غير موجودة كلها في المريخ فلا حيوان فيهِ وخالفهُ لول فالقول ما قال ولس لا ما قال لول

ثم اني ارى في الطبيعة دليلاً آخر على عدم وجود المخلوقات العاقلة في الاجرام السموية وهو من قبيل الدليل الذي يستدلُّ بهِ بعض العلماء على وجود المخلوقات العاقلة فيها فانهم يقولون ان الارض من اصغر اجرام السماء وهي مسكونة بمخلوقات عاقلة فلا يعقل ان خالق هذا الكون يحصر المخلوقات العاقلة في الارض وحدها ويترك سائر اجرام السماء خاوية خالية وبينها ما هو اكبر من الارض جدًّا وما هو اقدم من الارض جدًّا بل الارض ليست شيئاً مذكورًا بالنسبة اليها حتى يضطر علماء الفلك ان يحسبوها نقطة في قياس ابعاد الثوابت واقدارها

لكننا اذا سلمنا بقولهم هذا خلصنا من مشكلة ووقعنا في ما هو اشد اشكالاً منها فاذا كانت الاجرام السموية مسكونة بمخلوقات عاقلة لانها اكبر من الارض واقدم وجب ان تكون مخلوقاتها العاقلة ارقى من مخلوقات الارض بالنسبة الى كبرها وقدمها لان الارتقاء مع الزمن سنة طبيعية وينتظر ان يكون جاريًا في سائر عوالم الله كما هو جارٍ في ارضهِ وعليهِ ينتظر ان يكون في الشعرى مثلاً مخلوقات اقدم من الناس واعقل واقدر بنسبة ما الشعرى اكبر من الارض واقدم وقس على ذلك سائر اجرام السماء . ونحن البشر على صغر ارضنا وحداثتها عرفنا عناصر الكواكب وكدنا نجعلها تشعر بوجودنا فاذا كان سكانها اقدر منا واعقل حسب ناموس الارتقاء على نسبة كبرها وقدمها فمن اغرب الغرائب انهم لم يجعلونا نشعر

وجودهم حتى الآن بطريقة محسوسة لا ريب فيها . ويظهر لي ان فرض وجود هذه المخلوقات مع عدم تأثيرها فينا كما هو الواقع ابعد عن الاحتمال من فرض خلو الاجرام السموية من المخلوقات العاقلة . لان وجود المخلوقات العاقلة اي ارتقاء الاحياء من ابسط انواعها الى ان تصير اناساً عاقلين يقتضي من الفواعل والمؤثرات ما لا يجتمع كلهُ مرتين في مليون مليون مرة. ولذلك لا يعقل من كل حيوانات الارض ونباتاتها غير الانسان فاذا لم تجتمع هذه الفواعل والمؤثرات الأ مرةً واحدة من كل ازمنة الدهر وفي جرم واحد من كل اجرام السماء فلا عجب لان عدم اجتماعها كذلك منطبق على قواعد المرجحات (probabilities) وهو معقول اكثر من اجتماعها مرارًا عديدة وفي اجرام كثيرة . فاذا لم نجد فيلاً في الزهرة ولا في عطارد ولا في المريخ ولا في زحل ولا في المشتري ولا في الشعرى ولا في العيوق ولا في الدبران ولا في غيرهنَّ من اجرام السماء فذلك ليس اغرب من وجود الفيل في واحد من هذه الاجرام لان وجودهُ ونشوءهُ من حيوان ارضي صغير مثل الوبر اقتضى الف شرط وشرط من الشروط التي احتمال وجودها كلها في عالم آخر لا يبلغ واحدًا في مليون مليون مرة

وما دام البحث قد امتدَّ الى ما هو وراء الطبيعة يسمح لي الاستاذ جرداق ان اذكرهُ ان فرض وجود المخلوقات العاقلة في غير الارض وارتقائها فيها على نسبة اجرامها واعمارها يبطل الاديان كلها ولاسيما الدين المسيحي المبني على نزول ابن الله لافتداء البشر لاننا لا نقدر ان نتصوَّر ان الله يطالبنا بغير ما تدركهُ عقولنا وعقولنا لا تدرك غير ما يقع تحت اختبارها او ما يقاس عليهِ. ولا نستطيع ان نتصوَّر ان لله مخلوقات نسبة الانسان اليها كنسبة حبة الرمل الى الارض كلها او قطرة الماء الى البحر كلهِ وهو مع ذلك يهتم بهِ ويخاطبهُ كانهُ افضل مخلوقاتهِ وغايتها او كأن ليس في ملكوتهِ غيرهُ. وقس على الدين المسيحي سائر الاديان التي تجعل الانسان سيد المخلوقات في نظر الخالق فان فرض وجود المخلوقات العاقلة في الاجرام السموية التزامًا يقضي على الاديان كلها ويخرجنا من مشكل ليوقعنا في ما هو اشد إشكالاً منهُ . نعم ان العلم لا يرحم بل يصل الى نتائجهِ المترتبة على مقدماتهِ اردنا او لم نرد ولكن هذه النتائج ليست من المحتومات بل من المرجحات (probabilities) وعلينا ان نتمسك بالراجح لا بالمرجوح منها

هذا من حيث الامر الاول اما الامر الثاني وهو تفسير الخطوط التي تظهر على سطح المريخ بانها من الحوادث الطبيعيَّة التي لم تفسَّر حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا فقد اتاني فيهِ بالاخبار من لم ازودِ لاني قرأت لبعضهم الآن رسالة نشرتها جريدة نانشر في ٧ مارس

الماضي مفادها انهُ ان وجدت الاحياء في المريخ فلا تكون الَّا من نوع النبات الكبير الذي تمتد عروقهُ مثل اذرع الاخطبوط وتكتنف ذلك السيار فيمتص بها الماء من ثلج القطبين وتظهر لنا كالاقنية • وهذا الفرض معقول وادلة الكاتب عليهِ قوية فاذا ثبت كان منطبقاً على ما قلتهُ اي ان هذه الخطوط من الحوادث او الظواهر الطبيعية التي لم يبحث احد في تعليلها حتى الآن اي الى وقت كتابتي الماضية • وفرض وجود نبات تمتد عروقهُ الوفاً من الاميال غريب في ذاتهِ ولكنهُ ليس محالاً وغاية ما فيهِ انهُ يجعل نسبة نبات المريخ الى بعض النباتات البحرية كنسبة هذه الى الزوفا او كنسبة ثروة ركفلر الى ثروة كاتب هذه السطور

وخلاصة القول اولاً انهُ ينتظر من علماء الفلك الذين مثل لول ان يكشفوا احوال المريخ الطبيعيَّة ومن علماء البيولوجيا مثل ولس ان يحكموا هل هذه الاحوال صالحة لوجود المخلوقات الحية والاحياء العاقلة فيهِ وهذا ما اردتهُ في استشهادي بولس • وثانياً انهُ اذا رجح علماء البيولوجيا عدم وجود مخلوقات عاقلة في المريخ تستطيع ان تحفر فيهِ ترعاً كبيرة وهي الخطوط التي تشاهد على سطحهِ فلتلك الخطوط سبب طبيعي آخر او تعليل آخر والتعليل الذي نقلتهُ عن جريدة ناتشر لا يبعد عن التصور ولا يناقض شيئاً من معلوماتنا ومعتقداتنا

مصر احد القراء

العزلة

طالعت المقالة النثرية الشعرية التي دبجتها يراعة الشاعر السوري الاميركي امين افندي ريحاني في العزلة ولم اكد آتي على آخرها حتى تصوَّرت نفسي بين امة كبيرة كالامة الاميركية او الفرنسوية وقد قرأت مقالتهُ واتصحت بنصحهِ ولجأت الى العزلة فترك المعدّنون معاولهم ومجارفهم وقالوا ما لنا ولقلع حجارة الفحم والحديد والفضة والذهب وهرعوا الى وادٍ مثل وادي الفريكة ليسامروا الطبيعة ويناجوا نفوسهم واقتفى خطواتهم ربابين السفن وساقة المركبات وصنَّاع المعامل وحاكة الثياب وتجار الحبوب وكل صاحب صناعة او حرفة كل هؤلاء تركوا مشاغل الحياة وهمومها وخرجوا بنسائهم واولادهم ولجأُوا الى الكهوف والاودية وجلسوا في ظلال الاشجار وسمعوا حديث الصنوبرة مع بنتها والسنديانة مع اختها لانهم "سئموا ملاذ هذا المجتمع وموبقاتهِ وشرورهُ فعادوا الى امهم الطبيعة لتداويهم بنور شمسها وعليل هوائها وشذا رياحينها" • رأيتهم كذلك جلوساً متكئين في افياء الاشجار وظلال الصخور فجلست في

كان يشرف عليهم وراقبتهم في حركاتهم وسكناتهم رجالاً ونساءً ابناءً وبناتٍ كبارًا وصغارًا حتى اذا تكبدت الشمس السماء وحان وقت الغداء رأيتهم يتحركون ويتململون وجعل الصغار يبكون وينتحبون وامهاتهم يعللنهم بما معهنَّ من فتات الخبز وبما يقتلعنهُ من نبات الارض. ثم آذنت الشمس بالمغيب فكثرت الحركة والضوضاء وعلا صياح الاطفال وانتشر الشبان والعذارى يفتشون عن البقول والجذور ولم تطل مدة الشفق لان الوقت كان صيفاً واظلم الليل وبرد الهواء وجعل النساء يفتشن عن الكهوف ليلجأْنَ اليها باطفالهنَّ ووقفت الذئاب على رؤُوس الشواهق وعيونهنَّ تخترق حجب الليل وآذانهن تلتقط ركز الاقدام وانوفهنَّ تستروح عرق الجباه لعلهنَّ يستفردن واحدًا يفترسنهُ

مضى الليل وبزغ الفجر والوجوه كاسفة والهمم فاترة والاقدام لا تحمل الاجسام وتلك الجماهير تهرول راجعة الى معترك الحياة وامامها عصابة من الفتيان تنشد بصوت رخيم قائلة

لا يبطل السعي ذو نفسٍ ولو ملكاً وليس في الارض حيٌّ عادم الحركهْ
ما قال ربك نمْ في الظل متكلاً بل أَعملِ الارض واسعَ تكثر البركهْ

كاره الكسل

التعريب

حضرات الفضلاء محرري المقتطف

ضمني مجلس مع جمهور من الادباء الذين قرأُوا مقالات التعريب المدرجة في المقتطف فاستغربنا كيف نشرتموها كلها من غير ان تعقبوا عليها او تبدوا رأيكم فيها وانتم اكثر الناس اشتغالاً بهذا الموضوع فقد اشتغلتم بهِ منذ خمس وثلاثين سنة الى الآن شغلاً متصلاً سنة بعد سنة وشهرًا بعد شهر ويومًا بعد آخر وفزتم فيهِ اكبر فوز فلماذا لا تذكرون لنا القواعد التي استنبطتموها وجريتم عليها في التعريب فجعلت كتاباتكم المترجمة كأَنها مكتوبة بالعربيَّة وليس عليها لمحة من اصلها الافرنجي ولم يتعذر عليكم ترجمة المقالات العلمية والفصول الادبيَّة والخطب السياسيَّة ولا الكتابة في اي موضوع من المواضيع فتكتبون في الحساب والجبر والهندسة والفلك والطبيعة والكيمياء والجيولوجيا والبيولوجيا والفلسفة العقلية وعلم الاجتماع وعلم الاخلاق وحقوق الدول وحفظ الصحة وتمريض المرضى وتربية الاطفال وحرث الارض وغرس الاشجار وصبغ الثياب وسبك المعادن كأَنكم تكتبون في الصرف والنحو والبيان ونحو ذلك من العلوم العربيَّة وتجدون في العربيَّة متسعاً للتعبير عن كل العلوم والفنون

والافكار. فانا وغيري من قراء مجلتكم نود ان تكتبوا لنا عن القواعد التي تتبعونها في ترجمة ما تترجمون وفي التعبير عن المعاني الجديدة التي لم تكن معروفة عند العرب لاننا نرى انها هي الاساليب التي يجب العمل بها بعد ان جربت فوفت بالمراد والسلام عليكم ورحمة الله

احمد المغربي

[المقتطف] اننا نشكركم على حسن ظنكم بنا ونؤكد لكم ان اسلوبنا بسيط ونحن لم نتقنهُ حتى الآن فلا يحق لنا ان نجعلهُ قاعدة واجبة الاتباع لاسيما واننا لا نزال آخذين في تهذيبهِ متعلمين من اختبارنا واختبار غيرنا ومع ذلك لا يبعد ان نلبي طلبكم ونكتب عن الطرق التي نجري عليها في التعريب ولو لم تبلغ ما نريدهُ لها من الاتقان

باب الزراعة

الاراضي الزراعية
وفقر القطر المصري

ابنا في الجزء الثاني من اجزاء هذه السنة ان مساحة الاطيان الزراعية في القطر المصري كلهِ ٥٥٣٩٦٣٨ فداناً ومساحة الاطيان القابلة للزراعة وهي لم تزرع حتى الآن لعدم وجود الماء اللازم لريها ١٠٤٧٤٦٢ فداناً والجملة ٦٣٨٧١٠٠ وحيث ان عدد السكان في القطر المصري نحو اثني عشر مليوناً من النفوس فاذا وزعت اطيانهُ على سكانهِ خصَّ النفس الواحد منهم نحو نصف فدان لا غير

فانظر الآن كيف الحال في بعض البلدان من حيث ما فيها من الاطيان الزراعية وعدد سكانها وهي في استراليا وزيلندا الجديدة وناتال

اسم البلاد	عدد سكانها	الاراضي المباعة لهم بيعاً تاماً	الاراضي المباعة لهم بيعاً مشروطاً	الاراضي التي لم تبع حتى الآن
نيوسوث ويلس	١٥٣٣٠٠٠	٣٢٤٨٦٠٨٦	١٧٤٨٤٢٤٩	١٤٨٦٦٤٥٤٥
فكتوريا	١٢٣٨٠٠٠	٢٢٩٦٤٩٢٩	٠٣٨٧١١١٤	٠٢٩٤٠٩٧١٧
استراليا الجنوبية	٠٣٨٣٨٣٠	٠٨١٨٧٦٢١	٠٥٤٨٤١٩٠	٢٢٩٥٧٢٩٨٩

استراليا الغربيّة	٠٢٦١٧٥٠	٠٣٧٨١٦١٣	٠٨٧٩٤٢٨٩	٦١٢٠١٢٨٩٨
كوينسلند	٠٥٣٥١٠٠	١٤٥٨٥٥٦٠	٠٣٧٣٧٠٨٣	٤١٠٧٩٧٣٥٧
زيلندا الجديدة	٠٩٠٠٩٢٠	٢٦٠٥٩٥٣٤	٠٠٠٣٠٩٦٦	٠٤٠٧٧٠٩٤٠
ناتال	١١٥١٩١٠	٠٨٧٣٥٦٦٦	٠١٨٥٥٤٠٨	٠٠٠٩٦٢٥٣٣

ففي هذه البلدان لا يزيد عدد السكان على ستة ملايين من النفوس ولكن الاراضي الزراعية التي يمتلكونها امتلاكاً تامًّا تبلغ مساحتها نحو ١١٧ مليوناً من الافدنة فيخص النفس منهم نحو عشرين فداناً هذا عدا الاطيان المباعة لهم على شرط احيائها والاطيان التي لا تزال في حوزة الحكومة ومساحتها نحو ١٥٣٠ مليوناً من الافدنة وهي لو وزعت على السكان الحاليين لخص النفس منهم ٢٥٥ فداناً ولو تركت حتى يكثر السكان ويصير للنفس منهم عشرون فداناً فقط لوجب ان يبلغ عددهم حينئذٍ اكثر من سبعين مليوناً من النفوس واذا اكتفى النفس بفدانين فتلك الاراضي تكفي سبعمائة او ثمانمائة مليون من النفوس

وقد يظن لاول وهلة ان الفدان من اطيان القطر المصري يساوي عشرين فداناً من تلك الاطيان ولكن هذا الظن خطأ . نعم ان محصول الفدان في القطر المصري اوفر من محصول الفدان في تلك البلدان ولكنهُ لا يزيد على محصول ثلاثة افدنة او اربعة فالنفس الذي يمتلك هناك عشرين فداناً كأنهُ يمتلك عندنا خمسة افدنة او اكثر وحيث ان متوسط ما يمتلكهُ النفس عندنا هو نصف فدان فقط فمتوسط كسب النفس من الزراعة هناك اكثر من متوسط كسب النفس عندنا عشرة اضعاف او اكثر . فهذا هو الواقع فان عدد سكان استراليا اربعة ملايين ونحو نصف مليون من النفوس ولكن دخل حكومتهم منهم نحو ٣٦ مليوناً من الجنيهات وتبلغ قيمة صادراتهم سبعين مليوناً من الجنيهات فدخل الحكومة من كل نفس من السكان ثمانية جنيهات وهو نحو جنيه وربع في القطر المصري . وقيمة الصادر لكل نفس من السكان هناك اكثر من ١٥ جنيهاً وهي نحو جنيهين ونصف في القطر المصري

وما قيل عن استراليا يقال عن زيلندا الجديدة فان عدد سكانها نحو تسعمائة الف نفس ودخل الحكومة منهم ثمانية ملايين ونصف مليون من الجنيهات اي نحو عشرة جنيهات من كل نفس وقيمة صادراتهم ١٨ مليوناً من الجنيهات فالنفس الواحد يصدر ما ثمنهُ اكثر من ثمانية عشر جنيهاً من محصولهِ وهو لا يستطيع ان يصدر من محصولهِ في القطر المصري اكثر من جنيهين ونصف

وهذه الاحصاءات كلها مأخوذة من الاحصاء الاخير فالذين يبالغون في غنى القطر المصري يموّهون على العقول لان غاية ما يمتاز بهِ القطر المصري على غيرهِ ان محصول الفدان فيهِ يفوق محصول الفدان في غيرهِ ولكن قلة عدد الافدنة بالنسبة الى كثرة عدد السكان تزيل هذه المزية وتجعل القطر من افقر البلدان الزراعية. واذا قابلناهُ بالبلدان القديمة التي جمعت بين الزراعة والصناعة والتجارة كانكلترا وفرنسا والمانيا وجدنا ثروتهُ دون ثروتها كثيراً فسكان انكلترا ٤٤ مليوناً من النفوس ودخل الحكومة منهم ١٤٥ مليوناً من الجنيهات وقيمة صادراتهم ٥٨٦ مليوناً من الجنيهات فكأَن متوسط ما يدفعهُ النفس للحكومة ثلاثة جنيهات وثلث ومتوسط قيمة ما يصدرهُ اكثر من ١٣ جنيهاً

وعدد سكان فرنسا ٣٩ مليوناً ودخل الحكومة منهم ١٤٥ مليوناً من الجنيهات وقيمة صادراتهم نحو ٢٧٠ مليوناً من الجنيهات

وعدد سكان المانيا نحو ٦١ مليوناً من النفوس ودخل حكومتهم منهم نحو ١٠٨ ملايين من الجنيهات وقيمة صادراتهم نحو ٣٣٦ مليوناً من الجنيهات

وعدد سكان الولايات المتحدة الاميركية نحو ٨٥ مليوناً من النفوس ودخل حكومتهم نحو ١٥٢ مليوناً من الجنيهات فقط لقلة النفقات الحربية وقد كانت قيمة صادراتهم في العام الماضي ٣٩٦ مليوناً لان اكثر تجارتهم داخلي اما ثروة السكان فتبلغ ١٣٠٠٠ مليون جنيه فيخص النفس منهم ١٥٣ جنيهاً وثروة القطر المصري تقدر بنحو ٥٠٠ مليون جنيه يخرج منها نحو ١٥٠ مليوناً قيمة الدين الذي لاوربا على الاطيان والاملاك سواءٌ كان من دين الحكومة او دين الاهالي فيبقى من ثروة القطر لابنائهِ ٣٥٠ مليوناً من الجنيهات فيخص النفس منهم نحو ٢٧ جنيهاً اي اقل من سدس ما يخص النفس في الولايات المتحدة من الثروة العمومية

ويجب ان ترسخ هذه الحقائق في اذهان السكان حتى يقلعوا عن الاسراف والافراط في النفقات

شجرة الصابون

كتب المستر رتشرد غنثر قنصل اميركا الجنرال في فرنكفورت بالمانيا ان المستر لانج طاف في بلاد الجزائر بناءً على طلب الحكومة الالمانية ولقي فيها المسيو برتران وهو من اكبر اصحاب الاطيان في بلاد الجزائر ورئيس الجمعية الزراعية في اربا قرب مدينة الجزائر وعندهُ من الاطيان ما تبلغ مساحتهُ الوفاً كثيرة من الافدنة وهي مزروعة كرماً وبرتقالاً وزيتوناً

وفيها كثير من شجر الصابون . ويستغل كل سنة الوفاً من الاطنان من بزر شجر الصابون هذا . وشجر الصابون مثل شجر التفاح جرماً وثمره اخضر اللون وفي قلبهِ مادة دبقة ضاربة الى الصفرة وهو من اصلح المواد لغسل المنسوجات من كل الانواع سواء كانت بيضاء او مصبوغة

غلة القمح في بعض البلدان

تبلغ مساحة الارض التي تزرع قمحاً في بلاد الهند الانكليزية نحو ٣٠ مليون فدان وغلتها السنوية نحو ٣٢٠ مليون بشل فمتوسط غلة الفدان منها نحو عشرة ابشال وثلثين اي نحو اردبين . ومساحة الارض التي تزرع قمحاً في استراليا نحو ستة ملايين فدان وغلتها نحو ٦٦ مليون بشل فمتوسط غلة الفدان نحو اردبين ايضاً . ومساحة الارض التي تزرع قمحاً في كندا نحو ستة ملايين فدان وغلتها نحو ١٣٠ مليون بشل فمتوسط غلة الفدان نحو ٢٢ بشلاً او نحو اربعة ارادب

زراعة الخرشوف

تنشر شركة الترانزكشنس المصرية نشرة اسبوعية يكون فيها مقالة زراعية بقلم رجل خبير بالزراعة وقد نشرت في عددها الاخير مقالة وجيزة في زرع الخرشوف (الارضي شوكي) قالت فيها ما خلاصتهُ

(١) يزرع الخرشوف من البراعم او الفسائل الصغيرة التي تنبت حول النبات وهذه الفسائل تباع في القاهرة كل ١٥ فسيلة بغرش وجنسها مثل جنس النبات الذي تنزع منهُ

(٢) احسن الاوقات لزرع الخرشوف من اواخر يوليو الى اوائل اغسطس

(٣) يجب حرث الارض جيداً مرتين وتسميدها بكثرة بعد الحرثة الاولى ويجب ابعاد الخطوط بعضها عن بعض ٩٠ سنتيمتراً اي يجب ان لا يزيد عدد الخطوط عن اربعة في كل قصبة وتبعد الشجرة عن الاخرى ٧٥ سنتيمتراً الى ٩٠ سنتيمتراً

(٤) يزرع الخرشوف في احد جانبي الخط وتزرع الفاصوليا (اللوبياء) في الجانب الآخر ثم تروى الارض ولا يجوز ريها قبل الزرع

(٥) يبتدئ حمل الخرشوف في شهر نوفمبر ويستمر حتى شهر مايو فيجب المثابرة على ريهِ طول هذه المدة كل عشرة ايام ثم يترك بدون ري في فصل الصيف الى ان يأتي وقت الزرع

فينزع النبات القديم من الارض حينئذٍ وتنزع منهُ الفسائل وتزرع بدلاً منهُ . ويدوم نبات الخرشوف في اوربا سنتين او ثلاث سنوات او اكثر (وكذلك في سورية) ولكن ظهر بالاختبار في القطر المصري ان النبات لا يبقى جيداً فيهِ بعد السنة الاولى فيفضل قلعهُ وزرع نبات جديد بدلاً منهُ

(٦) لا بدَّ من ان تكون الارض التي يزرع الخرشوف فيها جيدة جداً وغير ثقيلة والخرشوف يفقر الارض لانهُ يأخذ الغذاء منها بكثرة فيجب ان يسمَّد جيداً . ومن الاسمدة المناسبة لهُ السباخ البلدي (الزبل) خمسون متراً مكعباً و ١٠٠ كيلو من اعلى فصفات الصودا لكل فدان ثم تعزق الارض بعد زرع الفسائل بشهر وتسبخ الفاصوليا بالسباخ الكفري وتخنق وتترك الى ان تجنى وتقلع ثم يسبخ الخرشوف بالسباخ الكفري وتعزق الارض ثانية وتمهد الخطوط حتى يصير الخرشوف في وسطها ويمكن ابدال السباخ الكفري بسباخ نترات الصودا ٣٠ كيلو غراماً للفدان . ومما يفيد الخرشوف ايضاً السباخ المصنوع من عزالة المرتفقات

(٧) ان اقل متوسط غلة الفدان المعتنى بزرعهِ ٨٠٠٠٠ خرشوفة ولكن لا بدَّ من ان يكون الزرع متقناً وان ترقَّع الارض في مكان الفسائل التي تيبس

(٨) في القطر المصري صنفان من الخرشوف الصنف العادي وهو اخضر اللون والصنف الخاص وهو قرمزي اللون ولا يوجد الاَّ في بعض الجنائن الخاصة ويجود الخرشوف عموماً ويحسن قطفهُ قبلما تظهر فيهِ علامات تفتحهِ للازهار

(٩) يختلف سعر الخرشوف بالجمل من غرش الخرشوفة الواحدة عند اول ظهورهِ الى ستة غروش المئة في شهر ابريل . والغالب ان غلة الفدان في ارضهِ تباع باربعين جنيهاً يضاف اليها عشرة جنيهات ثمن غلة اللوبياء

(١٠) اذا حسبنا اكلاف ري الفدان ٦ جنيهات فاكلاف الزراعة كلها ما عدا القطف نحو ١٥ جنيهاً

(١١) اذا زرع الخرشوف للتصدير وجب قطفهُ قبيل تصديرهِ ويقسم حينئذٍ الى ثلاثة اقدار الكبير والمتوسط والصغير ولا بدَّ من ان يبقى مع كل خرشوفة عنق طولها عشرة سنتيمترات . ويرصف الخرشوف حينئذٍ في الاقفاص طبقات وتوضع اوراقهُ في اسفل القفص واعلاهُ

تحسين القطن المصري

نشرت الجمعيَّة الزراعية الخديوية المذكرة التالية لتحسين نوع القطن المصري واستئصال نوع الهندي منهُ وهي

قد اظهر جميع المزارعين في السنوات الاخيرة اهتماماً عظيماً بزيادة محصول القطن ولكنهم لم يهتموا مطلقاً بامر تحسينهِ اعني انهم يفكرون دواماً في كمية المتحصل وليس في جودتهِ

ولا شك انهُ اذا استمر الحال على هذا المنوال تكون العاقبة وخيمة جداً وذلك لان جميع البلدان وجهت عنايتها في السنوات الاخيرة الى زراعة القطن وبعضها تبذل قصارى الجهد في انتاج قطن يفوق باوصافهِ وجودة نوعهِ الاجناس الموجودة في الوقت الحاضر

ولما كان القطر المصري زراعيًّا محضاً ولا يختلف اثنان في ان محصول القطن هو اس الثروة وجب على كل مزارع مصري ان يلاحظ هذه المسابقة ويفيق من رقدتهِ

ومن المعلوم ان كمية القطن المصري قليلة بالنسبة لما تنتجهُ البلاد الاخرى مثل الولايات المتحدة بامريكا والهند الخ ولكن الجودة الطبيعية التي تمتاز بها اقطاننا هي سبب اضطرار المعامل الى طلبهِ ولو ضاعت من اقطاننا هذه الصفة الحسنة التي تميزها عن محصول باقي البلاد لقلت اهميتها لدى المعامل وهبطت اسعارها فيخسر بسبب هذا الاهمال مزارعو القطر خسائر جمة لا سبيل لتعويضها من طريق آخر

ومن المعلوم الآن ان رداءة القطن المصري سببها اختلاط انواعهِ المختلفة بالقطن الهندي (الافرنكي) وهذا الاختلاط يزداد سنويًّا الى درجة انهُ لا يمكن الآن ايجاد اي عينة قطن عفيفي مثلاً خالية من النوع الهندي وقد اكد اكبر التجار انهُ اذا استمر الحال على هذا المنوال بضع سنوات يتغلب النوع الهندي على العفيفي وربما حل محلهُ رغم ارادتنا في معظم مزارعنا

فيجب علينا ان نسعى في الخلاص من هذا الخطر الذي يتهدد ثروة القطن المصري فنستأصل النوع الهندي ونعدمهُ بالمرة

وتوجد طريقتان لعلاج هذا الداء اولهما انتقاء البذور قبل الزرع واستبعاد البذرة الهندية من التقاوي وهو امر تشتغل بهِ الجمعية الزراعية منذ ثلاثة اعوام بمساعدة مصلحة

الاراضي الاميرية ولا شك ان هذه الطريقة ستأتي بفوائد جمة ولكنها لا تكفي وحدها لابادة النوع الهندي . وهناك طريقة اخرى وهي تقليع اشجار الهندي اثناء نمو الزراعة . والعادة المتبعة عند بعض المزارعين المتنورين هي تقليع هذه النباتات بعد ان تكبر وهذا فيهِ جملة مضار منها تقليل محصول الغيط ومنها ان تقليعها بعد التزهير لا فائدة فيهِ لان التلقيح الذي يولّد الاختلاط يحصل بمجرد تكوين الزهرة

اما صغار المزارعين فكانوا يمتنعون بالمرة عن تقليع هذه الاشجار لعدم انقاص كمية المتحصل ولكن بعد طول البحث والتنقيب وصلت الجمعية الزراعية الى طريقة تميز بها القطن الهندي من انواع القطن المصري المختلفة عند بدء الزراعة فيجب حينئذٍ على كل مزارع بدون استثناء ان يلاحظ هذه الطريقة عند خل (خف) القطن فيقلع الشجيرات الهندية ويترك الشجيرات المصرية ولا شك ان هذه الطريقة هي احسن ما يمكن عملهُ للوصول للغاية المطلوبة ويمكننا ان نؤكد انهُ متى اهتم بتنفيذ ذلك جميع المزارعين توصلنا بعد مضي سنتين او ثلاث لاستئصال النوع الهندي من مزارعنا كلية بشرط الاستمرار في انتقاء البذور

بقي علينا ان نعرّف المزارع كيف يميز الشجرة الهندية من الشجرة المصرية فنقول انهُ بعد ظهور شجرة القطن على سطح الارض بيومين او ثلاثة تظهر على اوراقها بقعة حمراء وذلك في نقطة اتصال الورقة بالعنق الرفيع المتشعب من الساق ويمتد هذا الاحمرار تدريجيًّا في العنق وفي عروق الورقة وكلما كبرت الشجرة تنحصر هذه البقعة الحمراء في نقطة اتصال الورقة بالعنق وعلى كل حال فانها تكون ظاهرة تمامًا ويسهل جدًّا على الاولاد الصغار ان يروها فيكفي تفهيم الانفار عند استئجارهم لخل القطن ان يقلعوا الشجيرات التي توجد فيها هذه العلامة

ولما كان يصعب علينا ان نعتقد ان جميع مزارعي القطر سيتبعون هذه التعليمات من اول وهلة وجب علينا ان ننصح من سيتبعها ان يلاحظ مسألة الحليج فلا يسمح بحلج قطنهِ الّا بعد ان يتأكد بنفسهِ انهُ صار تنظيف عدد الحليج والغرابيل من بقايا القطن الذي كان جاريًا حلجهُ من قبل حتى لا تختلط بذرة القطن المعتنى بتنقيتهِ ببذرة أُخرى مخلوطة

سماد الذرة

نشرت الجمعية الزراعية الخديوية النشرة التالية

قد دلت التجارب العديدة التي اجرتها الجمعية الزراعية في السنين الماضية على فائدة سماد الذرة الكيماوي وقد تأكد عموم المزارعين هذه الفائدة في السنة الماضية فانهُ قد أعطى محصولاً جيداً مع زيادة في الكمية توازي اضعاف الثمن حتى ان الطلبات التي وردت في السنة الماضية كانت كثيرة جداً

نوع السماد والمقدار اللازم

هذا السماد يتركب من نوعين يسمّى احدهما نيترات الصودا والآخر كبريتات النوشادر وقد دلت التجارب على ان استعمال مخلوط مركب من ١٢٠ الى ١٣٠ كيلو من نيترات الصودا وكبريتات النوشادر يأتي بنتيجة حسنة ولا مانع من ازدياد هذه الكمية اي المخلوط فانهُ كلما ازداد زادت فائدتهُ

كيفية الاستعمال

بسيطة جداً وهي :

(١) يدق نيترات الصودا حتى ينعم تماماً ويضاف اليهِ كبريتات النوشادر ويخلط معهُ خلطاً تاماً

(٢) ويمزج هذا المخلوط مع ثلاثة امثالهِ من النيترات الناعم وطريقة المزج بسيطة وهو ان يؤتى بهذا التراب ويجعل على هيئة كوم ويوضع فوقهُ مخلوط نيترات الصودا وكبريتات النوشادر بطبقة متساوية تعم جميع سطح التراب ويصير قطعهُ بالفوس الى احدى الجهات ثم يرد بالفوس الى الاتجاه المقابل لهُ ثم الى الاتجاهين الآخرين بمعنى انهُ يلزم خلطهُ جيداً حتى اننا لو اخذنا قبضة من هذا المخلوط لا يمكن تمييز التراب من السماد

وقت الاستعمال

يستعمل على دفعتين فنصف المخلوط ينثر باليد بعد خل الذرة وقبل السقية الاولى والنصف الثاني يوضع بعد خمسة عشر يوماً او عشرين يوماً تقريباً اي قبل السقية الثانية وعملية النثر لا يصح ان تكون في اتجاه واحد في الدفعتين فاذا نثرنا النصف الاول مثلاً في اتجاه من الشرق الى الغرب يجب نثر النصف الآخر من البحري الى القبلي او بالعكس

وقت طلب الاسمدة

نظرًا لما ظهر من فائدتها العظيمة فقد ازدادت الطلبات كثيرًا في السنة الماضية حتى ان الجمعية لم تتمكن من اجابة الطلبات التي وردت بعد الميعاد الذي حددتهُ اذ لا يخفى انها تستحضرها من الخارج و يلزم لها على الاقل شهران لاحضارها ولذا فتعلن الجمعية من الآن انها حددت يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٠٨ آخر ميعاد لقبول الطلبات وتنصح عموم المزارعين بانتهاز هذه الفرصة من الآن حتى لا يحصل تشكيات ممن قدموا طلباتهم بعد هذا الميعاد ولم تجب

كيفية تقديم الطلب

تقدم الطلبات لفروع الجمعية الزراعية بمديريات الغربية والبحيرة والدقهلية والمنوفية والشرقية والقليوبية والمنيا والفيوم بعنوان سكرتير الجمعية الزراعية ويبين في هذا الطلب عدد الافدنة اللازم لها السماد

كيفية استلام السماد ودفع الثمن

الطلبات التي عن سبعين فدانًا فاكثر سترسل مباشرة للطالبين من الاسكندرية الى المحطة المطلوب السماد لها ويدفع الطالب الثمن عند تصدير السماد اليهِ · واما الطلبات التي تقل عن ذلك فستسلم للطالبين من مخازن الجمعية بدمنهور واتياي البارود وكوم حماده وطنطا والمحلة الكبرى ودسوق وتلا وشبين الكوم والمنصورة وميت غمر والزقازيق وابو كبير وقليوب وبنها والفيوم والمنيا وفي هذه الحالة يدفع الثمن عند الاستلام من المخزن

ثمن السماد

سماد الفدان يكلف ١٦٥ قرشًا صاغًا لاعضاء الجمعية و ١٧٠ قرشًا صاغًا لغير الاعضاء بشرط ان يكون العضو قد سدد قيمة اشتراكهِ عن السنة الحالية ويلزم بيان ذلك في الطلب المقدم منهُ ولابد من سداد الثمن مقدمًا سواء كان عند تقديم الطلب او عند شحن السماد لان الجمعية قررت نهائيًا عدم تأخير الثمن

ملحوظات:

(١) يجب مراعاة المواعيد وتقديم الطلبات حالاً وكل طلب يرد بعد يوم ٣٠ مايو لا يمكن قبولهُ

(٢) يتوضح في الطلب هل الطالب مشترك في الجمعية وسدد قيمة اشتراكهِ ام لا · ثم من اي مخزن يريد استلام سمادهِ

(٣) يلاحظ عدم مزج نيترات الصودا وكبريتات النوشادر الاَّ في يوم الاستعمال او قبلهُ بيوم واحد

باب التقريظ والانتقاد

انجيل برنابا

وصفنا هذا الانجيل في السنة الماضية وقد ترجم الآن عن الانكليزية بقلم حضرة الدكتور خليل سعاده وطبع على نفقة مطبعة المنار لصاحبها الفاضل السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار

جغرافية شبه جزيرة سينا وجيولوجيتها

الجزء الغربي

The Topography and Geology of the Peninsula of Sinai

اهدت الينا مصلحة المساحة هذا الكتاب النفيس وهو من اوضاع المرحوم المستر بارون جمع فيهِ زبدة بحثهِ في تخطيط تلك البلاد وجيولوجيتها من اكتوبر سنة ١٨٩٨ الى مارس سنة ١٨٩٩ ويظهر من المقدمة ان البلاد كثيرة الامطار شتاء ويقع فيها الثلج ايضاً ولذلك لا يستغرب اهتمام المرحوم عباس باشا بجعلها مصيفاً وبنائهِ قصراً فيها ليقيم فيهِ زمن الصيف فقد جاء في هذا التقرير ان السماء امطرت عشرين يوماً في الخمسة الاشهر المشار اليها آنفاً واثلجت يوماً واحداً وتكوَّن الصقيع في ستة ايام وكثرت الصواعق الكهربائية في اكتوبر ونوفمبر ومارس وغامت السماء غيماً مطبقاً ٣٥ يوماً . والريح الغالبة شمالية او شمالية غربية وتهب في اوائل السنة جنوب شديدة الحر . وقد بلغنا من الذين اقاموا في شبه جزيرة سينا فصل الصيف كلهُ ان الحرّ معتدل في جبالها جدًّا ويبرد ليلاً فيصير كهواء الجبال في البلدان المعتدلة

وفي تلك الجهات ينابيع حارَّة قد تُصلح للتداوي فان حرارتها ٧١ درجة بميزان سنتغراد وفي الجالون منها ١٢١١ قمحة من المواد الجامدة وفي كل مئة من هذه المواد الجامدة نحو ٧٣ من كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) و ٧ من كبريتات الجير و ٢٠ من كبريتات المغنيسيا وتسمَّى تلك الينابيع حمامات فرعون الملعون

وفي الاودية بين الجبال كثير من الغدران او البرك ولكن الماء ليس عذباً دائماً بل قد يكون ملحاً او اجاجاً خبيث الطعم والرائحة

وفي هذا القسم من الكتاب فوائد كثيرة لكن كأن المقصود بها ان تكون دليلاً لرجال الحربية حتى يعرفوا كيف تسير جيوشهم. وفي القسم الثاني المختص بجيولوجية البلاد كلام مسهب عن صخورها ومعادنها ومكوناتها الجيولوجية ويلحق بالكتاب خرائط في غاية الاتقان صورت بالوان مختلفة يظهر منها نوع كل من الصخور والمكونات الجيولوجية فشمالي الطور صخور من الغرانيت الاحمر ومن حجر النوبة الرملي ثم يكثر الغرانيت الاحمر والهرنبلند الى الشرق الشمالي من الطور وراء سهل القاعة . ويظن البعض ان اعمدة الغرانيت الازرق والاحمر المنتشرة في خرائب سورية وبابل اخذت من سينا . وما كان ميسورًا للمصريين واليونانيين والرومانيين يجب ان يكون ميسورًا للناس في هذا العصر

الاعمال والمصالح

في اصول الاديان وشرائع العمران

وهي مقالات نشرت تباعاً في جريدة طرابلس الشام من تأليف العالم الفاضل عز الدين زاده صاحب الفضيلة محمد امين افندي الطرابلسي

كان كتّاب العرب في الصدر الاول يبحثون ويكتبون كما يبحث ويكتب علماء اوربا الآن ناظرين الى الموضوع نفسهِ من غير علاقتهِ بدين من الاديان حتى اذا قرأ كتبهم مجوسي او يهودي او مسيحي او مسلم لم يرَ فيها دليلاً او كلاماً يخالف معتقدهُ ثم جعلوا يتوكأُون على النصوص الدينيّة ولو كان بحثهم في حفر الترع وحرث الارض ومعالجة الاسقام وتطرَّف بعضهم حتى صاروا اذا تكلموا عن احد فراعنة مصر الاقدمين حاولوا اثبات اقوالهم بادلة من الكتاب والسنّة

والمواضيع التي طرقها مؤلف هذا الكتاب يمكن البحث فيها من وجه ديني محض او من وجهٍ علمي محض او من الوجهين معاً وقد اختار الاسلوب الاخير فحرَّم الربا لان النبي لعن آكلهُ ومؤكلهُ وشاهدهُ وكاتبهُ ومحللهُ ثم بيَّن سبب لعن الله لهم بقولهِ ان الجزاء انما يكون من جنس العمل في قدر الله تعالى وشرعهِ ولذلك عوقب السارق بقطع اليد والمحارب بقطع اليد والرجل . . . ومسخت بعض امم قردةً لما تحيلوا على فعل ما حرمهُ الله عليهم

وقد رأينا جماعة من العلماء يفضلون الاكتفاء بالادلة الدينية لاثبات ما يريدون اثباتهُ من هذه الاوامر والنواهي حاسبين ان تأييد الادلة الدينية بالادلة الاجتماعية او الطبيعيَّة يدل على وجود الريب في نفس من يقيم الادلة الدينية فاذا كنتُ اومن بالله وكتابهِ ونبيهِ ورأيتُ في الآيات الكتابية او الاحاديث النبوية نصًّا صريحًا على ان الربا محرَّم او اكل لحم الخنزير محرَّم او شرب الخمر محرَّم فيكون تفتيشي عن الاسباب الطبيعية او الاجتماعية بمثابة الريب في هذا التحريم مثال ذلك اذا سألتَ رجلاً ثقةً عن الطريق القويم من بلد الى آخر فدلك عليهِ ثم اخذت تبحث وتفتش عن اتجاه الطريق لترى هل يصل بين البلدين فاقلُّ ما يدلُّ عليهِ بحثك ان في نفسك ريبًا تريد ازالتهُ

لكن الجمهور لا يوافقهم على هذا القول بل ترى علماء الاديان في كل زمان يفتشون عن تأييد الاقوال الكتابية بالادلة الطبيعيَّة او الاجتماعية وقد جرى حضرة مؤلف الكتاب هذا المجرى وجمع فيهِ كثيرًا من الحقائق العمرانية مع الشروح الدينية فلهُ مزيد الشكر

دروس القراءة

اهدى الينا حضرة الفاضل محيي الدين افندي الخياط القسم الاول والثاني من هذا الكتاب وفي كلٍّ منهما دروس في الهجاء والاخلاق والفكاهة والحكم والدين ويراد بها تعليم الاطفال القراءة وغرس مبادئ الدين والفضائل في عقولهم

الشرق الادنى

The Near East.

مجلة سياسية مالية ادبية تصدر باللغة الانكليزيَّة في مدينة لندن الغرض منها الدفاع عن السلطنة العثمانية وتوثيق عرى الصداقة بين الانكليز والعثمانيين. والمجلة مطبوعة طبعًا متقنًا على ورق جيد ومزدانة بكثير من الصور ففي العدد الاول منها صورة الاستانة العلية. وصورة الجنود ذاهبة الى يلدز وصورة جامع ايا صوفيا من داخلهِ وغرفة المائدة السلطانية ومدخل قصر طلمة بغشه وصورة جامع السلطان احمد وكأن كتابها من الانكليز انفسهم او من الشرقيين الذين اتقنوا اللغة الانكليزية حتى صاروا يكتبونها مثل ابنائها. وثمن كل جزء نصف شلن

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) العداوة في الاهل

مصر. جبرائيل افندي ميخائيل. يقال ان العداوة في الاهل والظاهر ان ذلك صحيح فما سببهُ

ج لا نرى ان العداوة في الاهل اشد منها في غير الاهل بل هي اضعف ولكنها تظهر جلياً لانها تأتي على خلاف المنتظر

(٢) فوائد الحشرات

ومنهُ. يقولون ان كل كائن على الارض لهُ فائدة ما فان كان الامر كذلك فما هي فائدة الذباب والبراغيث والبق والعنكبوت

ج ان القول الاول لا يؤخذ على اطلاقهِ لا سيما وانهُ يعين الفائدة لمن تكون والظاهر من درس احوال المخلوقات انها مرتبطة بعضها ببعض فتفيد وتستفيد. فالنحل يمتص الاري من الازهار ويغتذي بهِ ويقع عليهِ لقاح الازهار فينقلهُ من زهرة الى اخرى ويلقحها بهِ فيستفيد ويفيد ولكنهُ لا يفعل ذلك عن قصد وروية. والذباب يلتقط فضلات الطعام ويأكلها ويمنع فسادها فيستفيد ويفيد وتأكلهُ العناكب فتستفيد منهُ وتسمن فتلتقطها الزنابير وتجمعها غذاء لصغارها. ولا نعلم ما هي فائدة البراغيث والبق لغيرهما من انواع الحيوان وقد لا تكون منهما فائدة لان وجودهما الآن ليس مترتباً على وجود الفائدة منهما بل يحتمل انهما من بقايا حشرات كان لها فائدة في سالف الزمن كما كان للزائدة الدودية فائدة في الاحشاء وليس منها الآن الاَّ الضرر. انظروا مقالةً في هذا الموضوع في هذا الجزء

(٣) الجامعة المصرية

ومنهُ. ما قولكم في الجامعة المصرية هل وضعت قواعدها على اساس متين يضمن نجاحها او ما الذي تختارونهُ لنجاح مشروعها

ج جاء نظام الجامعة على غير ما كنا ننتظرهُ ونشير بهِ فقد كنا ننتظر ان تكون مثل جامعة اكسفرد او كمبردج ببلاد الانكليز او جامعة طوكيو او كيوتو ببلاد اليابان او مثل جامعة اثينا ببلاد اليونان اي يكون فيها مدارس كلية للطب والحقوق

والهندسة والزراعة وعلوم الادب ودار جامعة للفلسفة والتفوُّق في العلوم ولكن يظهر ان لجنتها رأَت ان مدرسة الطب الحالية ومدرسة الحقوق ومدرسة الهندسة ومدرسة الزراعة تكفي البلاد فاقتصرت على دار جامعة للفلسفة . ومن المرجح انهُ يصعب على الحكومة ان تجمع مدارسها الكلية ضمن مدرسة واحدة وتضيف اليها جامعة فلسفية لانهُ يصعب او يستحيل تعليم الفلسفة وما يتعلق بها من غير تعرُّض للمسائل الدينيَّة . وسنرى ما يكون من امر الجامعة المصرية في هذه المشكلة الكثيرة العثرات . والمال الذي جمع للجامعة المصرية والذي ينتظر جمعهُ لها والهبة السنوية من الاوقاف الخيرية كافية لنفقاتها ونجاح مشروعها ولذلك نرى انها وضعت على اساس متين يكفل نجاحها

---

(٤) تسمية كنيسة اجيا صوفيا

مسوري باميركا . الخواجا داود سليمان ابو حيدر . من بنى كنيسة اجيا صوفيا بالاستانة وما سبب تسميتها كذلك ومتى تحولت جامعًا

ج بناها اولاً قسطنطين الكبير ثم اعاد بناءها الامبراطور ثيودوسيوس سنة ٤١٥ للبلاد والامبراطور يوستنيانوس بين سنة ٥٣٨ و ٥٦٨ ولما بناها قسطنطين الكبير سماها اجيا صوفيا اي الحكمة الازلية وجعلت جامعًا بعد فتح محمد الفاتح للقسطنطينيَّة سنة ١٤٥٣

(٥) الامطار والعواصف في اميركا

ومنهُ . لماذا نرى الامطار والعواصف والصواعق في هذه البلاد (اميركا) اكثر منها في بلادنا الشرقية

ج تكثر الامطار والعواصف والصواعق في البلدان الكثيرة الجبال والاودية المجاورة لبحر كبير او التي تأتيها الرياح محملة بخارًا مائيًا من بحر كبير ولا فرق في ذلك بين البلدان الشرقية والغربية ففي جبال لبنان تكثر العواصف والامطار كما تكثر في جبال اوربا . وتكثر في بعض الجهات الاميركية اكثر مما تكثر في غيرها وتجري في البلاد الواحدة على اسلوب واحد تقريبًا عامًا بعد عام حسب شكلها وموقعها

---

(٦) فائدة وجود الشعر

مصر . فهيم افندي عبد الملك . ما فائدة وجود الشعر في لحية الرجل وشاربيهِ

ج يظهر من بعض الادلة الطبيعيَّة ان الشعر كان يغطي جسم الانسان كلهُ ثم زال من اكثرهِ او ضعف لاسباب لا تعلم تمامًا حتى الآن فدارون يقول ان اكبرها الزينة والاختيار الجنسي فشرعت فيهِ النساء واتصل الى الرجال بالارث ثم عاد الرجال فاعتنوا بشعر لحاهم وشواربهم لمجرَّد الزينة

فثبت وقوي . ويظهر لدى امعان النظر ان لشعر الشوارب واللحي فائدة كبيرة في منع دقائق الغبار من دخول الانف والفم وفي منع الهواء البارد من تبريد الحلق . روي ان النوتية الذين ذهبوا للتفتيش عن الرحّالة فرنكلين في جهات القطب الشمالي اشتدّ عليهم البرد القارس ولكنهم لم يصابوا بمكروه لان الشعر كان يغطي وجوههم فيدرأ عنها البرد ثم لما عادوا الى انكلترا حلقوا هذا الشعر فلم يمضِ اسبوع حتى مرضوا كلهم . هذا ما يذكر من الادلة على فائدة الشعر ولكننا نظن ان اولئك النوتية لم يمرضوا لما كانوا في الاصقاع القطبيَّة لنقاوة الهواء هناك ولان طعامهم كان معتدلاً فلما عادوا الى المدن وفي هوائها كثير من جراثيم الامراض افرطوا في الاكل والشرب والتعرُّض لتلك الجراثيم فمرضوا

(٧) الشعر ووجه المراة

ومنهُ . لماذا ينبت الشعر في وجه الرجل ولا ينبت في وجه المرأة . ولماذا لا ينبت في وجوه الخصيان وما علاقتهُ بسن البلوغ

ج اذا صحَّ رأي دارون وهو ان النساء نتفن الشعر من ابدانهنَّ للزينة اي تحبباً الى الرجال لم يبعد ان تنشأ من ذلك علاقة بين الشعر والبلوغ فتتهيج بصلات الشعر حينئذٍ في الذكور كأنها تتذكر التهييج الذي كان يحلُّ بها حينما ينتف شعرها اما تهييجها الآن فيجعل الدم يرد اليها ويغذي الشعر فيزيد نموهُ . ولا تزال المسائل المتعلقة بالشعر غامضة لم تنجلِ حتى الآن

---

(٨) جمس نولس

اشمون. محمد افندي زكي صالح . المطلع على سني المقتطف الماضية يرى انهُ كان معجباً بالسر جمس نولس محرر مجلة القرن التاسع عشر وقد توفي في اوائل فبراير الماضي فلماذا لم تنشر ترجمتهُ

ج كنا نظن ان مجلتهُ نفسها تنشر ترجمة مسهبة لهُ فنترجمها عنها ولكنها لم تنشر شيئاً بل بعث اليها بعض الكتَّاب اصدقائهِ بمقالات وجيزة ذكروا فيها بعض مزاياهُ . وكان نولس من الكتَّاب المبرزين ولكنهُ لم يكن من العلماء الاختصاصين ولذلك لم تذكر ترجمتهُ في المجلات العلمية . وكان واسع الثروة كريماً يهتمُّ بالمسائل العمومية ويرغب كبار القوم في الكتابة ويدفع اليهم الاجور الكبيرة رغبة في نشر الحقائق علمية كانت او ادبية او اجتماعية وسنلخص في الجزء التالي ما قالهُ عنهُ اصدقاؤُهُ ومريدوهُ

(٩) كتاب الاسلام

ومنهُ . هل اطلعتم على كتاب الاسلام للسيد امير علي احد محامي انكلترا الآن وان كان فما محل بيعهِ وكم ثمنهُ

ج للسيد امير علي كتب كثيرة باللغة

الانكليزية وهي (١) بحث مدقق في سيرة محمد وتعاليمهِ (٢) روح الاسلام (٣) فضائل الاسلام (٤) مختصر تاريخ العرب (٥) الاحوال الشخصية في الشريعة الاسلامية (٦) الشريعة الاسلامية مجلدان (٧) كتاب التعليم في الشريعة الاسلامية . ونظن انكم تريدون منها كتاب روح الاسلام Spirit of Islam فهذا الكتاب لم نطّلع عليهِ ويمكن الحصول عليهِ من كل باعة الكتب ولا نعلم كم ثمنهُ

(١٠) الثورة الفرنسوية

ومنهُ . ما هو احسن كتاب كتب باللغة الانكليزية في تاريخ الثورة الفرنسوية وان كان لا يمكن المفاضلة فاذكروا لنا بعض هاتيك الكتب

ج (١) ترجمة كتاب تاين Taine Origines de la France Contemporaine

(٢) كتاب كارلَيْل Carlyle's French Revolution ونحن وجدنا تفاصيل مفيدة وافية في تاريخ السن وتاريخ اوربا العام وكتاب ملكات الهيئة الاجتماعية Queens of Society وكتاب سير ملوك اوربا وملكاتها الذي نشر حديثاً Private lives of the Kings and Queens of Europe

وكل باعة الكتب يقدمون ما يطلب منهم الاَّ الكتاب الاخير فان عدد النسخ التي طبعت منهُ محدود ونظن انها نفدت كلها

(١١) اشتراك نانشر

ومنهُ . ما قيمة اشتراك مجلَّة نانشر وما عنوانها

ج اشتراكها في مصر جنيه وعشرة شلنات وست بنسات والعنوان

Macmillan & Co.
St. Martin's St., London, W.C.

---

(١٢) استخدام الجان

بنسلفانيا باميركا . الخواجه حنا يوسف . اخبرني كثيرون انهُ يوجد اشخاص يستخدمون الجان فيقصدهم الناس ويستعلمون منهم عما جرى لهم وعما سيجري فيخبرونهم بذلك ويصدقون في كل ما يقولونهُ لهم لان الجان تكون طوع ارادة من يستخدمها فتعلمهُ بما يفوق ادراك الانسان فهل ذلك صحيح

ج ان كل ما يقال عن استخدام الجن والاخبار عن الغيب بواسطتها ظاهر البطلان ولذلك لا يعتمد عليهِ عاقل الآن حتى السذج صاروا يعلمون انهُ كلهُ من قبيل التخريف والتدجيل . وغاية ما فيهِ مما يفسَّر علمياً ان المستخبر يقع في شيء من الذهول الذاتي فيسمع ويرى ما هو راسخ في ذهنهِ فاذا قال لهُ المشعوذ ان الذي سرقك رجل لا طويل ولا قصير ولا اسمر ولا ابيض وكان ذهنهُ متوجهاً الى اخيهِ او جارهِ او خادمهِ تصوَّر

صورتهُ ولم يسمع من كلام المشعوذ الاَّ ما ينطبق على الصورة التي في ذهنهِ . وقد يكون حزرهُ مصيباً لانهُ يكون مستنتجاً من معلومات كثيرة فيحسب ان المشعوذ هو الذي ارشدهُ الى السارق

(١٣) اسماء الاشهر

ومنهُ . لماذا تكتبون في المقتطف بعض الاشهر حسب اللفظ الفرنسوي وليس حسب اللفظ الانكليزية والانكليزية اكثر شيوعاً من الفرنسويَّة

ج اننا لانكتبها حسب اللفظ الفرنسوي بل حسب اللفظ الذي رأيناهُ شائعاً في هذا القطر لما اتيناهُ وهو رومي قديم فيها وقد كان شائعاً منذ اكثر من الف سنة كما يظهر من التواريخ العربيَّة القديمة

(١٤) احسن القواميس

ومنهُ . اي كتاب من هذه الكتب افيد واسهل استعمالاً وهي القاموس ومحيط المحيط ولسان العرب وتاج العروس

ج ان تاج العروس اكثرها مادةً ومحيط المحيط اسهلها استعمالاً ولو نُقح وطبعت المواد والمشتقات التي فيهِ بحرف غليظ او وضعت بين قوسين غليظين حتى تستدل عليها العين بسهولة لصار افضل كتب اللغة

باب الاخبار العلمية

النجم والهلال

ان النجم والهلال اللذان هما شعار الدولة العثمانية اصلها شعار الدولة البزنطية اي دولة الروم التي عاصمتها القسطنطينية والشائع ان اصل هذا الشعار هو ان فيلبس المكدوني ابا الاسكندر الكبير كان يحصر مدينة بزنطيوم التي دعيت بعدئذٍ باسم القسطنطينية وكان عازماً ان يبيتها فظهر في السماء منظر غريب الزهرة في الهلال فلما رآهُ السكان هبوا الى سلاحهم ورآهُ فيلبس فقال في نفسهِ انهُ لا يقوى على قوم تساعدهم الآلهة بالآيات فرحل عنهم ومن ثم جعل البزنطيون رسم النجم والهلال شعاراً لهم تذكاراً لتلك الحادثة . لكن علماء الآثار رأوا رسم النجم والهلال في آثار الرومانيين واليونانيين والفرس والمكدونيين بل رأوهما في آثار البابليين التي تاريخها قبل الاسكندر بنحو الفي سنة وهو عندهم من نوع الكتابة ومعناهُ التعزيم لطرد الارواح الشريرة فان القمر كان معبود البابليين الاكبر والهلال رمز لهُ فكانوا يتبركون بصورتهِ وصورة

نجم فيهِ ويستعملونها في التعزيم لطرد الارواح الشريرة ثم لما استولى الفرس على بابل نقشوا رسم الهلال والنجم على نقودهم والظاهر ان الروم اقتبسوا هذا الرمز من الفرس ثم اقتبسهُ منهم الاتراك لما تغلبوا على مملكتهم فهو بابلي الاصل

استخراج الاسفنج بالغواصات

ان طريقة استخراج الاسفنج الشائعة في سواحل سورية ومصر وتونس فيها الخطر على النفوس والتلف للاسفنج . وقد خطر للاب راول من نزلاء قرطاجنة بتونس ان يستعمل الغواصات لاقتلاع الاسفنج من اماكنهِ وتألفت شركة لهذا العمل وبنت غواصة قرب طولون طولها ١٦ قدماً ينزل فيها رجلان الى قاع البحر ويحركان ذراعاً بارزاً من اسفلها فيقلعان الاسفنج ويلقيانهِ في سلة كبيرة من الحديد متصلة بالغواصة وفي الذراع مصباح كهربائي ينير البحر ليرى ما فيهِ من الاسفنج . وفي الغواصة آلات كهربائيَّة مختلفة لتغريقها وتعويمها وتحريكها وانارتها

التعليم الثانوي باميركا

كان عدد التلامذة الذين يتلقون التعليم الثانوي في الولايات المتحدة الاميركية ٣٦٧٠٠٠ سنة ١٨٩٠ اي ٥٩٠٠ من كل مليون من السكان فبلغ عددهم ٩٢٤٤٠٠ سنة ١٩٠٦ اي ١١٠٠٠ من كل مليون من السكان او اكثر من واحد في المئة

غرائب حسابية

(١) اذا جمعت سلسلة من الاعداد الشفعية التي اولها ٢ مثل ٢ و٤ و٦ و٨ و١٠ الخ فمجموعها يعدل مربع عدد الحلقات مع عدد الحلقات . في هذا المثال عدد الحلقات ٥ مربعها ٢٥ اضف اليها ٥ فيصير المجموع ٣٠ وهو مجموع الحلقات

(٢) اذا جمعت سلسلة من الاعداد الطبيعية التي اولها واحد وكانت منتهية بعدد وتر مثل ١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٧ فمجموعها يعدل الحلقة الاخيرة مضروبة في عدد الحلقات الوتريَّة . فالحلقة الاخيرة في هذه السلسلة ٧ وعدد الحلقات الوتريَّة ٤ فمجموع السلسلة ٧ × ٤ = ٢٨

٣ اذا جمعت سلسلة من الاعداد الطبيعيَّة التي اولها واحد وكانت منتهية بعدد شفع مثل ١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ فمجموعها يعدل عدد الحلقات مع واحد مضروباً في نصف الحلقة الاخيرة ففي هذه السلسلة عدد الحلقات ٦ فاضف اليهِ ١ واضربهُ في ٣ يحصل ٢١ وهو المطلوب فما تعليل ذلك كلهِ

فوائد قطران الفحم الحجري

عدَّد بعضهم فوائد قطران الفحم الحجري

في جمعية الصنائع الكيماوية فقال انهُ يستخرج منهُ كل الاصباغ على اختلاف الوانها وبهائها وعدد عديد من الادوية المستعملة الآن في علاج الحمَّى والارق والالم وداء النوم ومن المرجح ان منها دواء يشفي من السرطان. ويستخرج منها السكرين الذي هو احلى من السكر ٥٥٠ ضعفاً وزيت يشبه زيت اللوز المرومادة تشبه المسك وعطور تشبه عطر البنفسج والورد والياسمين. وبهِ تظهر الصور الفوتوغرافية وتصوَّر الصور الملوَّنة ومنهُ يصنع البارود الذي لا دخان لهُ وبهِ توقى الاشجار من الحشرات

قمر المشتري الثامن

ذهب المستر جورج فوربس في جريدة نانشر الى ان النجم الذي كشف حديثاً وظُن انهُ قمر ثامن من اقمار المشتري انما هو مذنب لكسل الذي شوهد سنة ١٧٧٠ وقد جذبهُ المشتري اليهِ. ولم يثبت ذلك بل ذكرهُ من باب الظن لبعد هذا الجرم عن المشتري

الاب لافونت

جاء في جريدة نانشر ما خلاصتهُ : — نعت اخبار الهند الاب اوجين لافونت العالم الطبيعي وهو في الحادية والسبعين من عمره كان استاذاً للعلوم الطبيعيَّة في مدرسة سنت زڤير الكلية بكلكتا ثم جُعل رئيساً لها وبسعيهِ جمعت تلك المدرسة احسن الآلات التي تُوضَّح بها الحقائق العلمية. ولقد كان من اشهر الاساتذة في التعليم ونشر الحقائق العلميَّة وبقي ثلاثين سنة عضواً في مدرسة كلكتا الجامعة وكان لهُ المقام الارفع في الدوائر العلمية وفي عيون اعيان الهند وبسعيهِ تمكن الدكتور ماهندرا لال سركار من انشاء المجمع الهندي لترقية العلوم. وسيبقى اسمهُ مقروناً بالتعظيم والتبجيل كاول روَّاد التعليم العلمي في بلاد بنغالا وفقدهُ خسارة كبيرة على تلك البلاد ولاسيما في هذا الزمن الذي يراد ان يوضع فيهِ التعليم هناك على اسس علميَّة

الروماتزم ولسع النحل

قال الدكتور نيوتن فرند ان رجلاً اصيب بالروماتزم في ظهرهِ فالمَّهُ جداً فعرَّى ذراعهُ وعرضها للنحل فاجتمع عليها ولسعهُ في اماكن كثيرة ولم تكد ذراعهُ تشفى من لسع النحل حتى شفي ظهرهُ من الروماتزم

مدرسة الهند

بينما القطر المصري يهتم بانشاء مدرسة جامعة ويجد الصعاب في جمع المال الكافي لها توفق الهنود الى انشاء مدرسة عالية او دار علميَّة بكرم اثنين من رجالهم وكرم حكومتهم فان في بلاد الهند خمس جامعات

وهي جامعة كلكتا وجامعة مدراس وجامعة بمباي وجامعة بنجاب وجامعة الله اباد . وهذه الجامعات كلها بمثابة دور لامتحان الطلبة الذين اتموا دروسهم في المدارس الكلية . أما المدرسة المشار اليها آنفاً فمدرسة حقيقيَّة او دار علميَّة لاجل الدرس والبحث العلمي ونشر الحقائق العلميَّة مبدأها هبة سنيَّة وهبها المثري الفارسي تاتا المشهور ويبلغ ريعها السنوي ٨٣٣٣ جنيهاً ثم تلاهُ مهرجا ميسور فوهب هذه المدرسة ارضاً مساحتها نحو ٣٣٠ فداناً لكي تبنى فيها ووهبها ايضاً ٥٠٠٠٠ ربية اي ٣٣٣٣ جنيهاً يدفعها اليها سنوياً وتلتهُ الحكومة الهندية فوهبتها مبلغاً سنوياً يعدل ٨٧٥٠٠ ربية او ٥٨٣٣ جنيهاً فصار دخل المدرسة السنوي ١٨٠٠٠ جنيه ثم عاد مهرجا ميسور فوهبها ٥٠٠٠٠٠ ربية ووهبتها الحكومة ٢٥٠٠٠٠ ربية والجملة ٧٥٠٠٠٠ ربية واذا أُضيف الى ذلك ربا الاموال الموهوبة قبلاً من حين وهبت الى الآن بلغ المجموع مليون ربية او ٦٦٦٦٦ جنيهاً وقد خصص هذا المال للبناء

أما العلوم التي يشتغل بها التلامذة في هذه المدرسة فهي ما يفيد بلاد الهند في زراعتها وصناعتها وينحصر اشتغالهم الآن في الكيمياء النظرية والعمليَّة . والكيمياء الآلية . وعلم البكتيريا . وعلم الاختمار . وعلم الصنائع الكهربائيَّة . ومن المحتمل ان يضاف اليها علم المعادن او التعدين

والخلاصة ان اثنين فقط من اهالي الهند دفعا بمساعدة الحكومة كل الاموال اللازمة لبناء مدرسة عالية ولنفقاتها السنوية وحصرت علومها في ما يلزم لزيادة ثروة البلاد

بير بيشان

فقدت فرنسا اكبر كيماوييها سنَّا وهو الاستاذ بير جاك بيشان توفي في ١٥ ابريل عن ٩٢ سنة وكان اكثر اشغالهِ في الكيمياء البيولوجيَّة لكنهُ لم يترك فرعاً من فروع الكيمياء الاَّ اشتغل بهِ وزادهُ بمباحثهِ وهو الذي استنبط طريقة عمل الانيلين ثم صنع الفخسيين ونحوهُ من المواد الملونة وكان مخالفاً لباستور في الآراء العلميَّة مع انهُ كان يشتغل مثلهُ . ومباحثهُ في الاختمار والدم والفبرين واللبن والبروتيين من اقوى دعائم علم البكتيريا

المسيو شمبرلان

توفي المسيو شمبرلان مدير مستوصف باستور وهو الذي صنع شمعة الخزف التي توضع في آلة الترشيح المنسوبة اليهِ والى استاذهِ باستور ولهُ الفضل في انهُ اثبت ان ميكروبات الهواء لا تضر في الاعمال الجراحية اذا كانت الآلات والاربطة والجلد نظيفة

فهرس الجزء السادس من المجلد الثالث والثلاثين

٤٥٧ قاسم بك امين
٤٦٣ آثار منف
٤٦٥ الاعضاء الاثرية . للدكتور امين ابي خاطر
٤٧٣ تحفة الظرفاء
٤٧٩ نوادر من لباب الآداب
٤٨٤ الشيخ ابرهيم اليازجي اللبناني . لعيسى افندي اسكندر المعلوف
٤٩٣ الاشباه والنظائر (مصوَّرة)
٤٩٦ الولايات المتحدة واليابان
٥٠٠ اسباب الاحتلال البريطاني
٥٠٧ فيدار وممالك حاصور . للاستاذ جبر ضومط

٥١٤ باب تدبير المنزل * تسخين الطعام (مصوَّرة) . الاولاد وجنائن الحيوانات . مكتبة المرأَة
الحذر من الخضر . الحجاب في الهند . تعليم البنات . ظلم الازياء
٥١٩ باب المراسلة والمناظرة * لا سكان في المريخ . العزلة . التعريب
٥٢٤ باب الزراعة * الاراضي الزراعية . شجرة الصابون . غلة القمح في بعض البلدان . زراعة
الخرشوف . تحسين القطن المصري . سماد الذرة
٥٢٢ باب التقريظ والانتقاد * انجيل برنابا . جغرافية شبه جزيرة سينا وجيولوجيتها . الاعمال
والمصالح . دروس القراءة . الشرق الادبي
٥٣٦ باب المسائل * العداوة في الاهل . فوائد الحشرات . الجامعة المصرية . تسمية كنيسة اجيا
صوفيا . الامطار والعواصف في اميركا . فائدة وجود الشعر . الشعر ووجه المرأَة . جمس نولس
كتاب الاسلام . الثورة الفرنسوية . اشتراك ناتشر . استخدام الجان . اسماء الاشهر
احسن القواميس
٥٤٠ باب الاخبار العلمية * فيه ١١ نبذة

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف